سواحل مصر الشمالية في أطلس الريس بيري (نسخة المكتبة البريطانية بلندن ، القرن ١١ هـ/ ١٧ م).

دكتور :حسن محمد نور عبد النور*

مقدمة :

من الأبواب التي لم تُطرق بأقلامٍ عربية إلا قليلاً ، مجال الأطالس العثمانية المزودة برسوم خرائط أثريةٍ مفيدة في مجالاتٍ كثيرة ؛ كعلوم الجغرافيا والتاريخ والآثار الإسلامية ، فثمة مجموعة من المخطوطات الجغرافية المصورة لا تزال بحاجةٍ إلى دراسة ، ومنها نسخة المكتبة البريطانية بلندن من كتاب " بحرية " لبيري ريس ، وستنشر هذه الدراسة ست خرائط تخص سواحل مصر الشمالية من النسخة المذكورة ، مع ترجمةٍ لنصوصها التركية المصاحبة ، واستخلاص مميزاتها وخصائصها ، ومحاولة التوصل لمعرفة راسم خرائطها ومكان رسمها ، وظروف إعادة نسخها ، وتحليل ما فيها من معلومات عن المعالم الطبيعية والإنشائية ، كل هذا بعد التقدمة لإبراز دور الإسهامات العثمانية في مجال الأطالس البحرية خاصةً في القرن ١٠ هـ / ١٦ م ، ذلك القرن الذي شهدت بداياته تأليف بيري ريس لأطلسه الأصلي الذي حصرت الدراسة كل نسخه الأخرى في المتاحف العالمية والمجموعات الخاصة ، بعد أن أبرزت أهميته واهمية مؤلفه بين الأطالس العالمية والعثمانية .

الإسهامات العثمانية في مجال الخرائط والأطالس البحرية :-

لقد بدأ الأتراك العثمانيون من حيث انتهت جهود السابقين عليهم في مجال الخرائط والأطالس البحرية ، واستفادوا كثيراً من جهود العرب والمسلمين [١]، ، وأيضاً من جهود الأوربيين التي اتجهت منذ نهاية القرن الـ ٩ هجري/ ١٥ م ، إلى

---

* أستاذ الآثار الإسلامية المُساعدبكلية الآداب بسوهاج جامعة سوهاج

[١] أنظر على سبيل المثال جهود العرب والمسلمين ، ومن أعلامهم : الخوارزمي الذي وضع الأساس الأول لعلم الخرائط العربي في كتابه (صورة الأرض) في النصف الأول من القرن٣ هجري/٩ م ، وابن خرداذبة صاحب (المسالك والممالك) (ت حوالي ٣٠٠هجري/٩١٢م) ، الأصطخري ، وابن حوقل المُعاصر للاصطخري (ت ٣٤٢ هجري/ ٩٥٣ م) والمسعودي (ت ٣٤٦ هجري /٩٥٧ م) ، والبيروني صاحب المؤلفات العديدة في الجغرافيا (٤٤٠ هجري /١٠٤٨ م) ،والإدريسي صاحب (نزهة المشتاق) (ت ٥٤٩ هجري/ ١١٥٤ م) ، وياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هجري/ ١٢٢٨ م) ، و زكريا القزويني (ت ٦٨٢ هجري/ ١٢٨٣ م) ، وأحمد بن ماجد صاحب كتاب (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد) ، ويعتبر من أهم ما صنف في علم البحار على الإطلاق ، ويرجع إلى القرن ١٠ هجري/١٦ م ، محمد (د. سعاد ماهر) :- البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، المجمع العلمي بجدة ، ١٩٨٩ م ، ص ٣٧٧ ، الهمشري (محمد على) وآخرون :- إزدهار العلوم والفنون الإسلامية ، الرياض، ١٩٩٧ م ، ص ٧٤ .

إنشاء المعاهد البحرية للدراسة النظرية والعملية خاصةً في البرتغال[٢]
ولم ينصرم القرن الـ ١٠ هجري/ ١٦م ، حتى كان العثمانيون قد أضافوا إلى موكب الحضارة البشرية في مجال الخرائط والأطالس البحرية الشئ الكثير ، حتى أنه ليعد القرن الذهبي في النهضة الجغرافيا العثمانية ، فمع بدايات القرن المذكور بدأت تظهر للوجود خرائط الريس بيري ، وأقدمها هى خريطته المُسمّاة خطأً بخريطة " كولمبس " والتي عثر عليها خليل أدهم في أكتوبر من عام ١٣٤٨ هجري/ ١٩٢٩ م بمكتبة السراي بإستانبول – برقم ١٦٣٣- والخريطة مقاسها (٩٠ × ٦٣ سم) ، ومرسومة على ورقٍ يشبه رق الأيل ، بألوانٍ زاهيةٍ من الحبر والجواش ، والجزء المتبقي من الخريطة يمثلً الجانب الغربي من خريطة العالم ، وعليها باللغة التركية توقيع بيري ريس وتاريخ المحرم ٩١٩ هجري/ الموافق مارس ١٥١٣م ، وتمثل الخريطة (رقم١) جزء تفصيلي مما تبقى من الخريطة المذكورة .[٣]
وفي عام ٩٢٨ هجري/ ١٥٢١م ألف بيري ريس كتابه المسمى " بحرية " ثم عاد ونقحه بعدها بأربع سنوات ، وبعد أن فرغ من تأليفه ورسم خرائطه قام الشاعر والمؤرخ المُعاصر مرادي بنسخه بخط النسخ باللغة التركية ، على ورقٍ مقاسه (٣١,٧ × ٢٢ سم) ، بمسطرة ١٥ سطراً ، وعمل له قائمة بالخرائط والتخطيطات ، وعلى خاتمته (الورقة ٤٢٠ وجه) ما يشير إلى عصر السلطان سليمان القانوني [٤]وتحتفظ مكتبات ومتاحف تركيا بنصيب الأسد مما نسخ عن المخطوط الأصلي من نسخ عديدة ، وقد رسم بيري في النسخة الأولى مائتين وخمس عشرة خريطة ، بينما زوّد النَسخة المُنقّحة بمائتين وثلاثٍ وعشرين خريطة ، بالألوان السوداء والذهبية والحمراء وظلالها المختلفة

---

[٢] جلال (د.السيد حسين) :- فضل المسلمين في كشف الطريق البحري إلى الهند ، (١٤١٥- ١٤٩٨ م) ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢ م ، ص ٥٩ .

[٣] نظراً لأهمية تلك الخريطة ، فقد تناولتها أقلام الباحثين بالدراسة ، أنظر :-
A Fetinan (A) :- Life and works of the Turkish Admiral Piri Reis (The oldest Map of America , drawn by Piri Reis) Trans by . L . yolc .Ankara . 1954 .

ورسم بيري في خريطته عن العالم القارة السادسة (إنتركتيكا) التي لم تكشف إلا عام ١٢٣٤ هجري/ ١٨١٨ م ، و كانت دقيقة في رسم الشواطئ الأمريكية حتى أنها لتتطابق مع صور الأقمار الصناعية الحديثة ، أنظر : الفنجري (د.أحمد) : العلوم الإسلامية ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ١٩٨٥ م ، ط١ ، ج٢ ، ص ٦١ .
Atil (Esin) :- The Age of Sultan Suleyman Magnificent , Washington 1988 . p.78 .

[4] Atil (E) :- op.cit .p.81, And (Metin) :- Turkish Minatures Painting the ottoman period , Ankara , 1974 .p .113 .

، وتشرح هذه الخرائط موانئ البحر المتوسط وجزره وقلاعه ومصاب مياهه ومدنه الساحلية المعمورة ، وأحياناً الخرائب والأطلال [٥].

وفي عام ٩٣٥ هجري/ ١٥٢٨-١٥٢٩م أنجز بيري ريس خريطته الثانية للعالم، وهى محفوظة بمتحف طوبقابوسراي – برقم ١٨٢٤- ومقاس المتبقي منها ٧٠ × ٦٩ سم، ويصور جانباً من أمريكا الجنوبية ، وعليها عبارة باللغة التركية نصها " رسمها بيري ريس بن الحاج محمد في غاليبولي ٩٣٥هجري " [٦].

ويتأثر المصور نصوح السلاحي المطراقجي أمين سر حملة السلطان القانوني على إيران عامي ٩٤٠- ٩٤٢ هجري/١٥٣٣-١٥٣٥م ، يتأثر بأطلس بيري ريس فيرسم مجموعة كبيرة من المنمنمات الخرائطية بالأسلوب الطبوغرافي [٧]،في عدة مخطوطات من تأليفه وتصويره ، منها مخطوط "بيان منازل سفر العراقين" المحفوظ بمكتبة جامعة استانبول ، وفيه مائة وثمان وعشرين منمنمة خالية من الرسوم الآدمية ، وتأخذ صفة الخرائط الطبوغرافية،[٨] ويعتبر الريس " سيد على " بحري شهير وفلكي خبير ، شارك في فتح رودس مع سليمان القانوني ، وتولى قيادة أسطول السويس بعد مراد ريس عام ٩٦٠ هجري/١٥٥٢ م ، وألف كتابه الموسوم "المحيط في علم الفلك والأبحر" وصف فيه بحار الهند وصفاً مدققاً ، وألف أيضاً رحلته المُسمّاة "مرآة الممالك " التي كتبها بعد عودته براً من الهند [٩].

وثمة خريطة للعالم رسمها عام ٩٦٧ هجري/ ١٥٥٩ م الحاج أحمد التونسي ، محفوظةً بمكتبة سان ماركو بالبندقية ، وله مخطوط جغرافي آخر بالمكتبة البودلية بأكسفورد ، تكلم فيه عن حياة الملاّحين المُعاصرين له في عصر سليمان القانوني (٩٢٨-٩٧٤ هجري/ ١٥٢١- ١٥٦٦م) [١٠].

---

[5] Rogers (J.M) & R .M .ward :- Suleyman the Magnificent , British Museum .1988.p.103 .

[٦] Soucek (S) :- Piri Reis & Turkish Mapmaking After Columbus , the Khalili Portlan Atlas , London .1996. p. 51 .

[٧] الأسلوب الطبوغرافي يتميز بوصفه الدقيق للأماكن أو لسماتها السطحية كالهضاب والأودية والبحيرات والأنهار والطرق والجسور وأبرز المعالم الطبيعية والإنشائية ، وهو أسلوب خال تماماً من الرسوم الآدمية ، وتخفيفاً لجفافه يزود أحياناً برسوم طيور وأسماك وأشجار ومراكب ، للمزيد أنظر : نور(د.حسن محمد) :- التصوير الإسلامي الديني في العصر العثماني ، سلسلة الدراسات الأثرية -٣- كلية الآداب بسوهاج ، جامعة جنوب الوادي ، ١٩٩٩ ، ص ١٨٨

[٨] أصلان آبا (أوقطاي) :- فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد عيسى ، إستانبول ، ١٩٨٧ ، ص ٢٩٨ .

[٩] سرهنك (إسماعيل) :- حقائق الأخبار عن دول البحار ، بولاق مصر، القاهرة ، ١٣١٦هجري، ج١، ص ٥٤٩ ، ج٢ ، ص ٤٢

[10] őzdemir (k) :- Ottoman Nautical charts and the Atlas of Ali Macar Reis , Istanbul , 1992 . p . 88 .

وفي تونس العثمانية توجد أيضاً مدينة صفاقس التي اشتهرت فيها عائلة الشريف الصفاقسي كصناع للخرائط ، فالجد هو محمد بن محمد ، والابن هو أحمد بن محمد ، والحفيد هو على بن أحمد بن محمد ، وأطالسهم الخمسة محفوظة في باريس و روما وأكسفورد، وترجع إلى القرنين ١٠-١١ هجري/١٦-١٧ م .[١١]

ويحتفظ المتحف البريطاني بلندن بمخطوطٍ في الجغرافيا – برقم ١٣٢٠١- يحمل عنوان "نوادر الغرائب وموارد العجائب" نسخة مصطفى بن حسين في منتصف ذي الحجة من عام ٩٧٢ هجري/ يوليو ١٥٦٤ م ، فيه مجموعة رسوم قيمة في فن الخرائط تتميز ببساطتها وتأثرها بأعمال الجغرافيين العرب ، وتسيطر عليها أحياناً الأساطير القديمة .[١٢]كما يحتفظ متحف طوبقا بوسراي بأطلس الريس على مجار – برقم حفظ ٦٤٤- وعلى مجار (macar) أو مجيار (Magyar) هذا يشير إلى أن أصله هنغاري ، وهو خرائطي عثماني ذكر في وثائق أواخر عصر القانوني ، وكذلك في وثائق خلَفِهِ سليم الثاني ،[١٣] وخرائط أطلسه تخص البحر المتوسط وموانيه ومصباته وبحيراته ، وهى دقيقة ومزودة برسوم سفن صغيرة أحياناً ، لكنها ما تزال متأثرة بخرائط البورتولان الأوربية ،[١٤] ولذا فهى أكثر تفصيلاً من خرائط الريس بيري فيما يخص الموانئ الأوربية الجنوبية .

وثمة أطلس عثماني محفوظ في والترز جاليري في بالتيمور ، وخرائطه متشابهة مع أطلس على مجار ،ولذا يؤرخه البعض بوقتٍ قصيرٍ بعد أطلس على مجار أي مابين عامي ٩٧٨- ٩٨٣ هجري/١٥٧٠- ١٥٧٥ م .[١٥]

أما الأطلس الهمايوني فمحفوظ بمتحف الآثار بإستانبول ، ويفتقر هذا العمل لأية معلومات عن مؤلفه وتاريخه ومكان صناعته ، إلا أن خرائطه منفذة على صفحتين متقابلتين ، فهى أكبر من نظائرها في أطلس على مجار وأطلس بالتيمور ، ويؤرخه جودرايش (Goodrich) بالتقريب إلى حوالي عام ٩٧٨ هجري/ ١٥٧٠م .[١٦]

ومن الأعلام في هذا المجال أيضاً تقي الدين المولود في دمشق عام ٩٢٨هجري/ ١٥٢١م ، والمتولي لقضاء مصر ، والمشتغل بالتنجيم في بلاط السلطان مراد الثالث في

---

[11] Soucek (S) :- Islamic charting in the Mediterranean (The History of Cartography) Vol .2 .Book one .Chicago& London .2001. p . 288

[12] Titley (N.M) :- Miniatures from Turkish Manuscripts , A catalogue and subject index of paintings in the British Library and British Museum ,1981

[13] őzdemir (k) :- op .cit .p .114 , Soucek (S) :- op .cit .p .288

[١٤] خرائط البورتلان (Portolan) نوع جديد من الخرائط ظهر في الفترة مابين ٦٤٨ -٦٧٤ هجري/١٢٥٠- ١٢٧٥ م ، ظهر على يد رجال البحرية الجنوية بإيطاليا ، عنى في رسمه بربط الموانئ بعضها بالآخر عن طريق خطوطٍ مستقيمة تبين الانحرافات فيما بينها .

[15] őzdemir (k) :- op .cit .p .92 , Soucek (S) :- op .cit .p .288

[16] őzdemir (k) :- op .cit .p .98 , Soucek (S) :- op .cit .p .288

نهاية القرن١٠ هجري/١٦ م ، والمتوفي بإستانبول ، وله أكثر من عشرين عملاً منها رسمه لخرائط وتصاوير آلات الزيج الشاهنشاهي .[١٧]
وثمة مجموعة من الخرائط البحرية رسمها الريس محمد منمنملي (Menemenli) محفوظة بمتحف (Civico) بالبندقية ، إحداها مُوّقعة باسمه ومؤرخة بعام ٩٩٩ هجري/ ١٥٩٠ م ، وهى خرائط ملونة وتستخدم مقياس الرسم ، ومنفذة بمقاسات ٨١ × ٥٦ سم [١٨] .
ويوضح العرض السابق الأعمال الكبرى في مجال الخرائط والأطالس العثمانية في القرن ١٠ هجري/ ١٦ م ، ولاشك في أن هناك أعمالاً أخرى أقل أهمية كمخطوط "جهان نامة" المحفوظ بالمكتبة البريطانية بلندن برقم (or 1038 B.L) لمؤلفه كاتب جلبي ، وفيه أربع عشرة خريطة .[١٩]
وخريطة العالم المُنفذة في مخطوط "حديث نوويا تاريخ هند غربي" والذي ترجع نُسخه المبكرة إلى نهاية القرن ١٠ هجري/١٦ م .[٢٠]
واستمرت النهضة العلمية الجغرافية في العصر العثماني تسير بخُطى تتجه إلى الانحدار البطئ في القرون اللاحقة للقرن المذكور ، لكنها لم تتوقف .[٢١]

أهمية كتاب " بحرية " وظروف تأليفه :-

ثمة مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية والشخصية هيأت الأسباب لتأليف بيري ريس عمله المهم عن البحرية ، فتنحصر هذه العوامل في الآتي :-
استيقظ العثمانيون في مطلع القرن ١٠هجري/١٦ م فوجدوا أن الأسبان والبرتغال قد سبقوهم في ركوب البحار والمحيطات العالمية واكتشفوا رأس الرجاء الصالح ، وهددوا مصالح الدولة العثمانية في البحر العربي والبحر الأحمر ، كما هددت أساطيل الأسبان والبنادقة والجنوية ونابولي وصقلية مصالحها في البحر المتوسط ، فما كان من السلطان سليم الأول - بعد انتصاره على الصفويين- إلا أن امر قائد أسطوله بيري باشا – مؤلف أطلس البحرية- ببناء أسطولٍ جديدٍ قوي يسيطر على البحر المتوسط بأكمله ، ولم يمر

---

[17] őzdemir (k) :- op .cit .p .105
[18] ibid ,p .109
[19] Titley (N.M) :- op .cit .pp 48-49
[٢٠] نور(د.حسن محمد) :- " حديث نو ويا تاريخ هند غربي" ، مخطوط تركي مصور لم يسبق نشره ، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، جامعة جنوب الوادي ، العدد ١٦ ، يونيو١٩٩٤ ، ص ٣٢٦ .
[٢١] منها كتب الرحلات إلى أمريكا ، والحبشة ، والأستانة وغيرها ، ومنها كتب الفضائل مثل :- فضائل الشام ، الأقصى ، جدة ، الحج ، وغيرها ، وللمزيد عن بعض قوائم هذه المؤلفات ومؤلفيها ، أنظر :- مصطفى (شاكر) :-موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ ، ج ٣ ، ص ١٦٨١-١٦٨٢

عقدان حتى كان خلفه سليمان القانوني قد سيطر على أربعة عشر ألف كيلومتر من السواحل ،[٢٢] وجعل البحر المتوسط شبه بحيرةٍ عثمانية ، ورست سفنه الحربية على الموانئ الجنوبية لفرنسا .[٢٣]

كما كان بيري ريس مُوفقاً في اختيار موضوع أطلسه ، ورسم خرائطه الإقليمية بدقةٍ أفادت في الأمور الإدارية والعسكرية ، فالبحر المتوسط هو قلب العالم القديم وحلقة وصل القارات الثلاث (أوربا وآسيا وأفريقية) ، وتياراته هادئة نسبياً إذا قورن بغيره من البحار الباردة ،[٢٤] كما أنه هو البحر الذي عمل فيه بيري ريس واكتسب خبرته العملية ، كذلك كان التوفيق حليفاً لبيري ريس عندما استخدم ذكاؤه بإهدائه خريطته عن العالم لسليم الأول ، ثم تريث قليلاً وأهدى أطلسه "بحرية " للسلطان سليمان القانوني ليصل إلى طموحاته الشخصية .

وتكمن أهمية خرائط كتاب بحرية في أنها خرائط ملاحية كدليلٍ ساحلي يحدد المواقع الخطرة على الملاحة البحرية ، ويعني بظواهر المد والجزر والتيارات البحرية ، وبطبيعة عمق المياه ، وبحساب المسافات بين الموانئ ، وبمعرفة المعالم والمنارات البحرية ، وفي أنها استخدمت الاتجاهات ومقياس الرسم ، وإلى جانب هذه النواحي العلمية ؛ فهى لم تهمل الجوانب الفنية ، حيث زودت بعض الخرائط برسوم الكائنات الحية الطبيعية والخرافية والطيور والأسماك والحشائش والنباتات ، وأحياناً رسوم السفن المختلفة التي ترسو بالموانئ أو تمخر عُباب البحر .[٢٥]

ترك أطلس "بحرية " أثره على الأطالس الأوربية اللاحقة على تأليفه لعدة قرون ، سواء في طريقة رسم الخرائط أو في طريقة تزيينها بالمراكب والحشائش ، وطرق تصفيف القلاع والمنازل وغيرها ، ويتضح هذا التأثير الشديد لو قارنّا- على سبيل المثال- خريطة مدينة المهدية بتونس - المرسومة على الورقة (١٨٥) من النسخة المنقحة من أطلس بيري – مع عملٍ أوربي يرجع إلى عام ٩٥٧ هجري/ ١٥٥٠ م [٢٦]، ولو قارنّا خريطة جربة بتونس- المرسومة على الورقة (١٩١) من نفس النسخة- بعملٍ أوربي يرجع إلى عام ٩٧٨ هجري/ ١٥٧٠ م [٢٧]،[(٢٧)] وغيرهما من خرائط تونس ،[٢٨] بل إنّ

---

[٢٢] لودفيغ (إميل) :- البحر المتوسط "مصاير بحر" ، ترجمة د. عادل زعيتر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٢ ، ص ٦٦٠

[٢٣] رضوان (د.نبيل عبد الحي) :- جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع القرن الحديث ، مكة المكرمة ، ١٩٩٨ م ، ص ٣٣٩ .

[٢٤] حسن (د.محمد إبراهيم) :- جغرافية الوطن العربي ، حوض البحر المتوسط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ م ، ص ٤٩٥ .

[25] Atil (E) :- op .cit .p .78 , Rogers (J.M) & R.M .ward :- op .cit . p .103 .

[26] Galloul (N):- Les Fortification Cotieres Ottomanes de la Regence de Tunis xvie–xix , Siecles , Fondation Temimi Zaghouan , 1995 , Tome II .p .785 .

[27] ibid , Tome II .p . 806

هذا التأثير استمر حتى في خرائط القرنين ١١-١٢ هجري/١٧- ١٨ م ، خاصةً التي رسمتها مدرسة أمستردام الهولندية ، تلك المدرسة التي صنعت الخرائط من أجل الربح ، فكان لعامل الزخرفة أهمية كبرى في صناعة الخريطة ، فهاهي خريطة قارة أفريقية على سبيل المثال التي رسمها (Janszoon) عام ١٠٣٨ هجري/ ١٦٢٨ م ، فإلى جانب رسم الصحراء والمدن والأنهار والبحيرات ، رسم أيضاً الأيقونات والفيلة والأسود وغيرها من الحيوانات[٢٩] بل أن هناك من يمد في استمرارية ذلك التأثير حتى القرن ١٣هجري/ ١٩ م .[٣٠]

ولوقارنا بين أطلس بيري ريس وبين الأطالس العثمانية الأخرى التي رسمت بعده لبرزت أهمية أطلس بيري ، فها هو كتاب "بيان منازل سفر العراقين" لنصوح مطراقجي ، والذي سبق الإشارة إليه من قبل ، لم يُعاد نسخه وتزويقه على الإطلاق ، وبقى نسخة فريدة وحيدة حتى الآن[٣١] ، وهكذا معظم الأطالس العثمانية المُشار إليها من قبل في هذه الدراسة ، في حين تمتع أطلس الريس بيري بالانتشار الواسع على مدار ثلاثة قرون حتى صار الكتاب ومؤلفه جزءاً مؤثراً في التاريخ العثماني ، ولِمَ لا وقد وصلتنا قرابة أربعين نسخة مخطوطة منهُ موزعةً على متاحف العالم ومكتباته ومجموعاته الخاصة ، وفيما يلي قائمةٌ حصرية بها ، سواء من النسخة المؤرخة بعام ٩٢٧ هجري/ ١٥٢١م أو من النسخة المُنقحة والمؤرخة بعام ٩٣٢ هجري/ ١٥٢٦م ، فمن النسخة الأولى وصلنا حوالي ثلاث وعشرون مخطوطاً ، ومن النسخة الثانية وصلنا أكثر من عشر مخطوطاتٍ كالآتي :-

نسخة عام ٩٢٧هجري/١٥٢١م :-

١- نسخة بمكتبة جامعة بولونيا برقم (٣٦١٢) غير مؤرخة ، بها ١٠٥ خريطة بمقاس ٣١ ×٢١ سم .
٢- نسخة أخرى بنفس المكان برقم (٣٦١٣) مؤرخة بعام ٩٧٧ هجري/١٥٦٩م ، بها ١٢٥ خريطة بمقاس ٣٠,٦ × ٢١ سم .
٣- نسخة بالمكتبة القومية بدرسدن، برقم (Eb-389) مؤرخة بعام ٩٦١ هجري/١٥٥٤م، بها ١١٩ خريطة بمقاس ٢٨,٧ × ١٩,٩ .
٤- نسخة بمتحف دينز بإستانبول ، برقم (٩٩٠) ، غير مؤرخة ، بها ١٣٤ خريطة بمقاس ٣١ × ٢٢ سم .

---

[28] ibid , Tome II .pp . 767, 827

[٢٩] الجوهري (د.يسري) :- الخرائط الجغرافية ، مكتبة الإشعاع ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، ص ١١٠

[30] Atil (E) :- op .cit .p .81

[31] Soucek (S) :- Piri Reis & Turkish Mapmaking After Columbus. p.101 .

٥- نسخة أخرى بنفس المتحف برقم (٩٨٧) ، غير مؤرخة ، نسخها محمد سيد ، بها ٨٨ خريطة بمقاس ٢٨,٢ × ٢٦ سم .
٦- نسخة بمكتبة كوبريلي بإستانبول، برقم (١٧٢) ، نسخت عام ١٠٦٨هجري/١٦٥٧م، بها ١٢٣ خريطة بمقاس ٣٥ × ٢٥,٥ سم .
٧- نسخة بمكتبة مللت بإستانبول برقم (١- جغرافيا) ، بها ١٢٩ خريطة .
٨- نسخة بمكتبة نورعثمانية بإستانبول ، برقم (٢٩٩٠) ، نسخت عام ١٠٥٥ هجري/ ١٦٤٥- ١٦٤٦م ، بيد أحمد بن مصطفى ، بها ١٢٦ خريطة بمقاس ٣٠ × ٢٠ سم .
٩- نسخة بنفس المكتبة ، برقم(٢٩٩٧) نسخت عام ١٠٣٨ هجري/ ١٦٢٨-١٦٢٩م ، بيد مصطفى بن محمد ، بها ١٢٤ خريطة ، بمقاس ٢٨,٧ × ١٩,٩ سم .
١٠- نسخة بمكتبة السليمانية بإستانبول ، برقم (٢٦٠٥) ، نسخت عام ١١٣٤ هجري/ ١٧٢١ م ، بها ١٣٣ خريطة ، بمقاس ٢٩,٣ × ٢٠,١ سم .
١١- نسخة بنفس المكتبة، برقم (٣١٦١) ، بها ١٢٥ خريطة ، بمقاس ٢٧,٧ × ١٩,٥ سم.
١٢- نسخة بنفس المكتبة برقم (٩٤٥)، نسخت عام ٩٦٢ هجري/١٥٥٤-١٥٥٥م ، بيد أحمد بن على بن محمد ، بها ٤٢ خريطة بمقاس ٣٦ × ٢٥,٤ سم .
١٣- نسخة بنفس المكتبة برقم (٩٧١) ، بها ١١٦ خريطة ، بمقاس ٤٠,٥ × ٢٧,٧ سم .
١٤- نسخة بنفس المكتبة برقم (٩٧٢) ، نسخت عام ٩٧٨هجري/١٥٧٠م ، بها ١٢٧ خريطة ، بمقاس ٣٠,٧ × ٢٠,٧ سم .
١٥- نسخة بنفس المكتبة برقم (٧٩٠) نسخت عام ٩٥٩هجري/١٥٥١م ، بيد محيى الدين ، بها ١٢٨ خريطة ، بمقاس ٢٩,٩ × ٢٠ سم .
١٦- نسخة بمكتبة متحف طوبقابوسراي برقم (B-337) ، نسخت عام ٩٨٢هجري/ ١٥٧٤-١٥٧٥م ، بها ١٣٤ خريطة بمقاس ٣٠ × ٢٠,٥ سم .
١٧- نسخة بمكتبة جامعة إستانبول ، برقم (١٢٣/٢ تركي) ، بها ١١٩ خريطة .
١٨- نسخة بالمكتبة البريطانية بلندن ، برقم (٤١٣١- or) ، نسخت في القرن ١١ هجري/ ١٧م ، بها ١٣٧ خريطة ، بمقاس ٢٩,٣ × ٢٠,٤ سم .
١٩- نسخة بالمكتبة البودلية بأكسفورد ، برقم (٥٤٣) ، نسخت عام ٩٩٦هجري/ ١٥٨٧م، بها ١٤٢ ورقة ، بمقاس ٢٩ × ٢٠,٣ سم .
٢٠- نسخة بالمكتبة القومية بباريس برقم (٢٢٠تركي) ، ترجع لنهاية القرن ١٠هجري/ ١٦م و بداية القرن ١١هجري/ ١٧م ، بها ١٢٢ خريطة بمقاس ٣٥,٢ × ٢٢ سم .

٢١- نسخة بالمكتبة القومية في توبنجن ، برقم (٤١٣٣) ، نسخت عام ١٠٥٤هجري/ ١٦٤٤-١٦٤٥م .
٢٢- نسخة في مجموعةٍ خاصة بالولايات المتحدة الأمريكية ، نسخت عام ١١٣١هجري/ ١٧١٨ م ، بها ١٢٣ خريطة بمقاس ٣٢ × ٢٢,٥ سم .
٢٣- نسخة بالمكتبة القومية بفيينا ، برقم (١٩٢- H.O) ، بها ١٣٠ خريطة ، بمقاس ٣١,٦ × ٢١,٤ سم .

نسخة عام ٩٣٢ هجري/ ١٥٢٦م :-

٢٤- نسخة في والترز جاليري في بالتيمور ، برقم (W. ٦٥٨) ، نسخت في نهاية القرن ١١هجري/ ١٧م ، بها ٢٣٩ خريطة ، بمقاس ٣٤ × ٢٣,٥ سم .
٢٥- نسخة بمتحف دينز بإستانبول ، برقم (٩٨٨) ، غير مؤرخة ، بها ٢٣٩ خريطة، بمقاس ٣٤,٥ × ٢٣ سم .
٢٦- نسخة بنفس المتحف ، برقم (٩٨٩) غير مؤرخة ، بها ٢٢٦ خريطة ، بمقاس ٣١,٣ × ٢١ سم .
٢٧- نسخة بمكتبة كوبريلي بإستانبول ، برقم (١٧١) ، نسخت عام ٩٦٢ هجري/١٥٥٥م ، بها ١١٧ خريطة ، بمقاس ٣١,٥ × ٢٠ سم .
٢٨- نسخة بمكتبة السليمانية بإستانبول ، برقم (٢٦١٢) ، نسخت عام ٩٨٢هجري/١٥٧٤ م ، بها ٢١٦ خريطة ، بمقاس ٣٢,٤ × ٢١,٥ سم .
٢٩- نسخة بمتحف طوبقابوسراي ، برقم (H-٦٣٢) ، نسخت في نهاية القرن١٠ هجري/١٦م ، بها ٢١٥ خريطة بمقاس ٣١,٥ × ٢٢ سم .
٣٠- نسخة بنفس المتحف ، برقم (R-١٦٣٣)،ربما نسخت في نهاية القرن ١١هجري/ ١٧م ،أو بداية القرن ١٢ هجري/ ١٨م ،بها ٢٢١ خريطة ، بمقاس ٣٢,٥ × ٢٢ سم.
٣١- نسخة بمكتبة جامعة إستانبول ، برقم (٦٦٠٥- تركي) ، بها ٢٢٨ خريطة ، أواخر القرن ١٠ هجري/١٦م .
٣٢- نسخة بدار الآثار الإسلامية بالكويت ، برقم (٧٢) ، نسخت عام ١١٠١ هجري/ ١٦٨٨- ١٦٨٩م ، بها ١٣١ خريطة ، بمقاس ٣١,٧ × ٢١,٢ سم .
٣٣- نسخة بالمكتبة القومية بباريس ، برقم (٩٥٦ - ملحق تركي) ، ترجع لنهاية القرن ١٠هجري/١٦م ، بها ٢١٩ خريطة بمقاس ٣٥ × ٢٣ سم
٣٤- .مخطوطات أخرى خرائطها بدون متن أو نصوصها بدون خرائط :-
٣٥- نسخة بمكتبة جامعة بولونيا ، برقم (٣٦٠٩) ، منسوبة لسيد نوح ، بها ٢٠٤ خريطة، بدون متن ، مقاسها ٤٢,١ × ٢٧,٧ سم .
٣٦- نسخة بمكتبة متحف طوبقابوسراي ، برقم (B-٣٣٨) ، غير مؤرخة ، بها ١٨٩ خريطة ، بدون متن ، مقاسها ٢٨,٥ × ١٩,٥ .

٣٧- نسخة بمجموعة ناصر خليلي بلندن ، برقم (٧١٨) ، بها ١١٩ خريطة ، غير مؤرخة، ٦٣ ورقة فقط ، بمقاس ٣٤ × ٢٤ سم .
٣٨- نسخة بمكتبة السليمانية بإستانبول ، برقم (٦٢٤ – خسرو باشا) ، من النسخة المنقحة، نسخت عام ١١٨٤هجري/١٧٧٠م ، نسخها سليمان المعروف بالزهوري ، ليس فيها خرائط .
٣٩- نسخة كانت في المكتبة القومية في برلين ، غير موجودة الآن ، ربما دمرت في الحرب العالمية الثانية ، نسخت في القرن١١هجري/ ١٧م ، بها خمسين خريطة بمقاس ٥٥ × ٤٢ سم .[٣٢]

نسخة المكتبة البريطانية بلندن :-

تحتفظ المكتبة البريطانية بلندن بنُسخةٍ من كتاب البحرية لبيري ريس ، منسوخةً عن النسخة الأولى غير المُنقحة ، وتحمل رقم حفظ (Or.4131.BL) ، وتقع في ١٩٥ ورقة ، مقاسها ٢٩,٣ × ٢٠,٤ سم ، مكتوبة باللغة التركية العثمانية ، بالخط النسخ ، مسطرتها ١٩ سطراً ، تشتمل على ١٣٧ خريطة ، تبدأ الخريطة الأولى على الورقة (١٢٥ وجه) ، وتمثل مدينة مليلية بالمغرب الأقصى على ساحل البحر المتوسط ، وتنتهي بخريطة إستانبول وضواحيها على الورقة الأخيرة من المخطوط ، تقول "نورا تتلي" عن هذه النسخة أنها تؤرخ بالقرن ١١هجري/١٧م ،[٣٣] وعندما قمت بتصوير هذه النسخة ودراستها تبين لي أن اسم ناسخها قد وردَ في خاتمتها ، وهو إبراهيم ناشد ، ودعاء له ، وتاريخ ١٠٢٦ هـ (يُقابل ١٦١٧ م) كما تبين لي أن شخصاً آخر تملك هذه النسخة في نفس القرن ، وكتب عليها بخط الثلث- أي بخطٍ يختلف عن خط ناسخها- عبارة في أربعة أسطرٍ نصها " تملكه الحقير الفقير، لعمل بر يوسف، عفى عنه، ١س ، [شعبان] سنة ١٠٩٨ – التي تقابل عام ١٦٨٦م- "، ثم ثلاثة من أختامه الخاصة (لوحة رقم١) .

ولما كانت خرائط هذه النسخة كثيرة ، فقد اكتفت الدراسة بنشر خرائط السواحل الشمالية المصرية ، مع ترجمة النصوص المُصاحبة والشارحة لهذه الخرائط كالآتي :-

الصفحة الافتتاحية (لوحة رقم ٢) :-

وتترجم إلى الآتي : " حمداً بلا حد ، وثناء بلا عد ، لله {جل جلاله} ستّارِ العيوب ، وغفّارِ الذنوب ، الذي أظهر كمال قدرته وبدائع صنعته على السلطان ، وجعلَ الجنس البشري من أشرف المخلوقات ، فحباهُ بالعقل السليم والنطق الفصيح ، وبلطفهِ

[32] ibid , pp .84 ,85 ,91 ,93 ,101 , őzdemir (k) :- op . cit . p. 73 , Soucek (S) :- Islamic charting in the Mediterranean (The History of Cartography). Vol . 2.Book one . pp. 290 -291 .
[33] Titley (N.M) :- op .cit . p. 64

الفيّاض خلّص القلوب قوية الإيمان من ضلالة الكفر ، ولتكن الآف التحيات المُباركة والصلوات الموصولة على الروح الطاهرة المُقدّسة لمُحمّدٍ المُصطفى ﷺ ، سرور الكائنات و مفخر الموجودات ، الذي لمحبته سخر عالم الأفلاك ، ولتكن التحيات بلا حد والمغفرة الواسعة على آلهِ العظام وأصحابهِ الكرام الذين هم مصابيح مجلس دين الإيمان ، وأبطال ميدان الشريعة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وعلى الخصوص ضياء الشمس وشعاع نور القمر سلطان سلاطين الزمان من العرب والعجم ، ظل الله في الدنيا ، السلطان بن السلطان بن " سليم خان " و " با يزيد خان " المخصوص بعناية الملك المنان ، أبّد الله عمره ، وأطال [عمر] دولته إلى انقراض الدوران ، آمين يا مجيب السائلين ويا مُستعان ، أما سبب تأليف الكتاب وموجب تحرير الخِطاب ، فإنه : عندما جلس صاحب العظمة حضرة السلطان حامي العالم خلّد الله خلافته ، عندما جلس على عرش السلطنة بالعظمة والسعادة ، بلغت مقاصد وعقول كل طائفة ، فأحضروا الهدايا من شتى أنواع الفنون التي تظهر إرادةً منقطعةِ النظير للسلطان صاحب العظمة ، وتخلد اسم صاحبها ،وهذا أضعف العباد الوضيع ابن الأخ " بيري ريس بن حاجي " سعى على قدر الطاقة والإمكان لإتحاف حضرة السلطان ، وألف كتاباً مشهوراً عن علم البحار وفن البحارة ، فحتى هذه اللحظة لم يعرف شخص قام بتأليف كتابٍ عن علم البحار ، وأحضره إلى الأعتاب السنية التي مدارها الفلك ، وأهداه إلى السلطان ، وبناءً على هذا فإن الكتاب يتناول سواحل البحر الأبيض وجزره والأماكن المعمورة فيه والخربة وموانيه ومياهه الموجودة فيه والصخور والخلجان ضحلة المياه ....." .

وثمة بضع مُلاحظات على الصفحة الافتتاحية ونصها ، نحصرها في الآتي :-

زخرفت قمة الصفحة بهيئة نصف قبة من زخارف الرومي ، واشتملت الديباجة على اسم السلطان المُهدى إليهِ الكتاب ، وهو السلطان سُليمان القانوني ابن السلطان سليم الأوّل ، وذلك بالسطر الثامن ، أما السطر الرابع عشر فقد ورد فيه اسم و لقب المهدي مؤلف الكتاب، وهو الريس بيري ، الذي وُلد عام ٨٧٥هجري/١٤٧٠م ، ربما في غاليبولي شمال غرب الدردنيل ، ولعله كان نصرانياً من أصلٍ يوناني ، وقيل إنه ابن أخ الأميرال المشهور كمال ريس (٨٥٤-٩١٧ هجري/ ١٤٥٠-١٥١١م) ،[٣٤] والاسم الكامل له هو بيري محيى الدين رئيس ، ويُقال أن أباه كان يُسمى حاجي محمد ، ولعل حقيري وبيري هى ألقاب لأسماء أعلام، وإنما الأسماء هى محمد ومحيى الدين ، ومهما يكن من شئ ،فإن الاسم المركب بيري محمد كان مألوفاً في القرن ١٠ هجري/ ١٦م ، أو بعبارةٍ أخرى هو علم يُنادى به محيئ الدين في الخطاب

---

[34] Soucek (S) :- Piri Reis & Turkish Mapmaking After Columbus. p.36
ويقول سرهنك إن بيري ريس كان حفيداً لكمال رئيس ، وهو قول ضعيف - أنظر :- ج ٢ ، ص ٤١ .

هذا وقد رافق بيري رئيس- وهو صبي- عمه كمال رئيس في كل أسفاره بالبحر المتوسط واكتسب المهارة والشهرة في المعارك البحرية ، وبعد وفاة عمه عام ٩١٦هجري/١٥١٠م عاد إلى غليبولي ، ودخل الخدمة العسكرية البحرية في عهد السلطان سليم الأول عندما قابله في مصر عام ٩٢٣هجري/١٥١٧م ، وبرز بعد ذلك تحت إمرة خير الدين بربروسة المتوفي عام ٩٥٣هجري/ ١٥٤٦م ، ثم عُيّن في عام ٩٥٩هجري/١٥٥١م قبودانـاً لمصر ، وسافر بهذه الصفة من السويس إلى الخليج الفارسي واحتل مسقط وحاصر هرمز ، لكنه رفع الحصار لقاء رشوة ، وعاد إلى البصرة ، وهزمه البرتغاليون ، لكنه أفلح في الوصول إلى السويس بمركبين ، ولما سمع السلطان القانوني بهزيمته أمر بإعدامه ، فقطعت رأسه بالقاهرة عام ٩٥٩هجري/١٥٥١م ، أو عام ٩٦٠هجري/١٥٥٢م ، وقيل عام ٩٦٢هجري/١٥٥٤م.[٣٥]

الورقة (١٤٩ وجه) (لوحة رقم٣) :-

تضم هذه الورقة الحديث عن مدينة طبرق في ليبيا ومدينة السلُّوم في مصر ، ومسطرتها ١٦ سطراً ، ويبدا الحديث عن السلوم في السطر التاسع ويترجم إلى الآتي " وبعده [أي بعد مرسى عمارا] تقع السلوم على بُعد خمسين ميلاً من رأس عملان ، والسلوم عبارة عن بروز بري مرتفع داخل البحر ، يمتد إلى الشرق ناحية هبوبِ رياح " شلوق " ويمر على هذا الطرِيق البَري حجاج المغرب ، ولقد سُميَّت السلُّوم بهذا الاسم لأنها تقع على تلٍ يصعد إليهِ كالسُلَّم ، وترسو السفن إلى الشرق من بروز السلُّوم ، أما الميناء فناحية الغرب في جهة هبوب رياح " الملتم " ، ويطلقون عليه اسم ميناء طوزلة ، وفيه ترسو السفن الصغيرة ، كما تواجهه جزر صغيرة ، ويسمون بروز السلوم " فرنك بقير " ، أما بروز رأس الزيتون فيقع على بُعد خمسين ميلاً من بروز السلوم ناحية الشرق حيث اتجاه هبوب رياح الشلوق ، وهو مكان تكثر فيه أشجار الزيتون ، فلايوجد فيه أشجار غير اشجار الزيتون ، والسلام على الدوام ، تمت " .

الورقة (١٤٩ ظهر) (خريطة رقم ٢) :-

للخريطة عنوان في عبارة تركية نصها " أشكال رأس ستين بور سمدر " ؛ أى أن هذا الرسم يوضح أشكال رأس ستين ، والذي يقع في أقاصي الشرق من السواحل الليبية ، ويتعرج خط الساحل مُحدثاً بروزاً عريضاً في البحر يليه مُباشرةً انحناء خليج تمرق الملتف بما يشبه الدائرة الناقصة غير المنتظمة ، وبداخله نقاط متراصة في أربعة أقواس تمثل التيارات المائية داخل الميناء ، وتتقدمها ثلاث علامات كأنها صلبان صغيرة ،وهى

[٣٥] دائرة المعارف الإسلامية ، نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي ، أحمد الشنتناوي ، إبراهيم زكي خورشيد ، عبد الحميد يونس ، أكتوبر١٩٣٣ م ، مادة بيري محيي الدين ، المجلد الرابع ، ص ٤٠٥ .

تشير إلى مجموعةِ التعليمات والتحذيرات الموجهة إلى البحارة بخصوص هذا الميناء حتى يتم دخوله من الطريق الصحيح ، أما وردة الرياح فرسمت بؤرتها فوق خليج السلوم ،وهى عبارة عن دائرةٍ مقسمةٍ إلى ثمانية أقسام ، ويشير السهم المنبثق منها لاتجاه الشمال ، وفي ميناء السلوم أيضاً رسمت نقاط متراصة وصلبان صغيرة ، ويستمر الخط الساحلي في تعرجاتهِ خارج وردة الرياح مُتجِهاً شرقاً ليُحدث مواقع أخرى لعلها رأس أم الرخم ورأس علم الروم غرب منطقة مرسى مطروح ، وفي الركن السفلي الأيسر من الخريطة كتبت بالتركية عبارة مائلة نصها "بوفصل تمرق" وهو عنوان الفصل المرسومة فيه الخريطة موضوع الوصف .

تحليل لما ورد بالنص والخريطة :-

بخصوص تسمية السلُّوم من التل الذي يصعد إليهِ يقول صاحب معجم البلدان الليبية[٣٦] تقع السلُّوم عل تلٍ يسميهِ العرب العقبة الكبرى ، وهى عقبة صخرية يتراوح ارتفاعها بين ٢٥٠ : ٣٠٠ متر عن سطح البحر ، كما يقول صاحب القاموس الجغرافي :[٣٧] هى قرية واقعة على شاطئ البحر المتوسط بخليج السلُّوم في نهاية أراضي المملكة المصرية من الجهة الغربية على بُعد ٢٦٠ كيلومتر من مرسى مطروح إلى الغرب ، وهى قريبة من الحد الفاصل بين مصر وطرابلس ، بينها وبين بئر واعر الواقعة على الحد المذكور نحو عشرة كيلومترات، أما طوزلة وفرنك بقير ، فلعلهما تسميات محلية أو تركية على هذين الموضعين، والمنطقة الساحلية بين السلوم والرخم تقترب هضبتها كثيراً من البحر ، ولا يفصلها عنه إلا شريط ضيق ، وعندما يتسع السهل تظهر كثبان رملية بينها بعض البُحيرات الصغيرة،[٣٨] وهو ما تُظهره تعرجات الساحل بالخريطة .

ورد بالنص أن الحجاج المغاربة كانوا يسلكون الطريق البري الساحلي عند السلوم ، وهو طريق آمن يقول عنه بيري ريس بالسطر التاسع من الورقة (١٤٦ وجه) من نفس المخطوط : " ليس هناك قبائل تعيش على ساحل البحر حتى نصل إلى الإسكندرية ، وإنما عربٌ يعيشون في الصحراء ، فإذا جاءت سفينة ورست في أحد موانئ المنطقة ، تطلق مدافعها فيسمعها من في الصحراء ، فيأتوا يتبادلون البيع والشراء مع البحارة " .

ورد اسمان للرياح التي تهب على المنطقة موضوعِ الدراسة هما " شلوق " و "الملتم " وستقابلنا على صفحات هذا البحث تسميات محلية وتركية لأنواع أخرى من الرياح مثل " قرة بيل " و " يلدز " وكلها تسميات تركية ومحلية لضربٍ من الرياح الموسمية الفصلية التي تهب

---

[٣٦] الزاوي (الطاهر أحمد) :- معجم البلدان الليبية ، طرابلس ، ١٩٨٦ ، ص ٣٢٨

[٣٧] رمزي (محمد) :- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م ، القسم الثاني ، الجزء الرابع ، ص ٢٥٤ .

[٣٨] حسن (د. محمد إبراهيم) :- المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

على جزر وسواحل البحر المتوسط ، وفي ذلك يقول " إميل لودفيغ " : " لا شئ في البحر المتوسط يوقف الخيال الشعبي أكثر من الرياح التي تختلف أسماؤها بين لغةٍ ولغة ، فيوجب هذا ضروباً من الارتباك ، فهناك رياح بورة – إلهُ رياح الشمال كما جاء في الأساطير- والرياح الشرقية المعروفة بالسموم والخماسين "،[٣٩] وتعرف الرياح الشرقية عند العرب باسم الصبا ، والرياح الغربية باسم الدبور .

وحدة القياس التَي استخدمها بيري هُنا بين الموانئ والمدن الساحلية هى الميل ، والميل الواحد يساوي (١,٦٠٩) كيلومتر ، أما الميل البحري الدولي " العُقدة البحرية " فيساوي (١,٨٥٢) كيلومتر ، لكن المشكلة أن ملاحي هذه الفترة كانوا يستخدمون وحدتان للقياس ؛ إحداهما لشرقي البحر المتوسط ، والأخرى لسواحل المحيط الأطلسي ، والميل في الأولى يبلغ طوله ثلث ميل بحري ، وعلى كل حال "فبيري" أكثر تطوّراً من كثيرٍ من ملاَّحي العصور الوسطى الذين كانوا يستخدمون الجنازير (Chains) والأشرطَة المعدنية التي تبلغ أطوالها عشرين متراً .

وردت في النص بعض المصطلحات الجغرافية مثل : الرأس ، وهو ذلك الجزء من اليابسة داخل في البحر بشكلٍ ضيق ، والبروز هو اللسان الساحلي (Spit) الذي يتكون من رواسب رملية أو حصوية تشكل شريطاً أو جسراً في البحر ، ويتصل هذا اللسان في اليابسة من طرفٍ واحد .[٤٠]

الورقة (١٥٠ وجه) (لوحة رقم ٤) :-

وترجمتها كالآتي :-

" يتناول هذا الفصل سواحل الإسكندرية واسقا مطروح ، فتعتبر مطروح الواقعة على الساحل ميناء جيد ، يطلقون عليه اسم " بورتود لبارتوند " ، ويسهل الرسو على هذا الميناء الذي يجب السير تِجاه الجنوب أثناء الدخول إليه ، وثمة وادٍ ضحل المياه جهة هبوب رياح يلدز ، كما توجد جزيرة جهة هبوب رياح البر في ذلك الوادي المُشار إليه ، يسمون هذه الجزيرة " بلوم بي " ، بينما تطلق عليها طائفة العرب اسم " بونتة " ، وترسو السفن على الجزيرة المذكورة مع هبوب رياح الملتم ، وتبلغ المسافة من رأس عوسج إلى الكنايس ثلاثين ميلاً ، كما توجد جزيرة أخرى على هذا الطريق جهة شروق الشمس يسمونها جزيرة الحمام ، وترسو السفن على هذه الجزيرة مع هبوب رياح الملتم ، وكلما أرادوا الرسو على ساحلها صادفوا مرسى ، أما الكنايس فهى بروز بري داخل البحر ، وأمامه جزيرة صغيرة ترسو عليها السفن مع هبوب رياح الملتم .

خلاصة القول : أن المواني المذكورة كلها موانٍ تهب عليها رياح الملتم ، وتبلغ المسافة من " بورتود لبارتوند " إلى " بورتوراقي " سبعين ميلاً ، ويطلق العرب على " بورتوراقي " الواقعة جهة شروق الشمس اسم مطروح ، ومنها تجلب أحجار الطواحين

---

[٣٩] لودفيغ (إميل) :- المرجع السابق ، ص ٥٩ .

[٤٠] حسن (د. محمد إبراهيم) :- المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

، ومخرج مطروح عبارة عن ميناءٍ ضحلِ المياه تأتيه سفن الإسكندرية لتحمل أحجار الطواحين ، فأحجار كل طواحين الإسكندرية مُستجلبة من مطروح ، وبخلاف هذا ، توجد قلعة خربة في موضع "عمدين الجق " ، وأمام القلعة وادٍ ضحلِ المياه ، وناحية سواحل البحر تظهر المياه العذبة ، وتقع الإسكندرية على بُعد ثلاثين ميلاً من الموضع المذكور ، بينما تبلغ المسافة من الإسكندرية القديمة إلى الإسكندرية الأصلية ثمانية عشر ميلاً ، وعلى هذا الطريق توجد جزيرة صغيرة يسمونها جزيرة الساري ، ومعناها جزيرة المجمع ، وهى ماوى سفن القراصنة ،وعلامة الوصول إلى الإسكندرية القديمة من البحر هو فنارٌ خرب يلوح في الأفق، تطلق الإفرنج عليه اسم " منصطراكي " ، ومن علامات معرفة الوصول أيضاً ظهور تلك الرمالِ البيضاء الكثيفة واللامعة تحت أشعة الشمس ، فتعرف الإسكندرية القديمة من تلك الرمال ، و تبلغ المسافة من الموضع المذكور إلى الإسكندرية ثمانية عشر ميلاً ، والسلام على الدوام " .

الورقة (١٥٠ ظهر) (خريطة رقم ٣) :-

للخريطة عنوان بأعلى منتصفها نصه "إسكندرية بور سمدر" أي هذا الرسم يوضح الإسكندرية، وثمة خمس عِبارات تعريفية أخرى موزعة على سواحل الإسكندرية ومعالمها ، ترتيبها من الغرب إلى الشرق كالتالي : اسكى إسكندرية أي الإسكندرية القديمة ، تليها عبارة " ليمان مغرب " أي الميناء الغربي ، ثم عبارة " ميمون جك " أي بوغاز ميمون ، ثم عبارة " ليمان إسكندرية " أي ميناء الإسكندرية ، ثم عبارة " قلعة إسكندرية " أي قلعة الإسكندرية ، كما توجد أيضاً في الركن السفلي الأيسر من الخريطة عبارة مائلة نصها (بو فصل إسكندرية) وهى تشير إلى ان الحديث القادم مازال مستمراً عن الإسكندرية .

وفي هذه الخريطة يتعرج الخط الساحلي بتعرجاته الطبيعية مُخلِّفاً ثلاث بُحيرات صغيرة وبعض الخلجان التي تتقدمها الجزر الصغيرة التي أشار النص إليها ، ومركز وردة الرياح هو شبه جزيرة فاروس ، المرسوم على كل طرفٍ من طرفيها برجٌ صغير ، بالإضافة إلى برج ثالث صغير يقع على اللسان الشرقي للميناء الشرقي ، كذلك رسمت قلعة قايتباي بالأسلوب الطبوغرافي على ساحل الميناء الشرقي .

الورقة (١٥١ وجه) (لوحة رقم ٥) :-

وترجمة هذا النص كالآتي :

" يبين هذا الفصل سواحل الإسكندرية ، وهى مدينة قديمة جداً ، وبدايةً ليس معلوماً مساحتها أو تاريخ بنائها ، فيقولون أن الإسكندر ذو القرنين قام بإعمار خرابها ، وبعد عصرٍ حضره النبي عليه السلام ، استقر عدد كبير من صحابته في الإسكندرية ،ولذا فهى ملاذ الأولياء خاصةً وأنها بمثابة ثغر بحري مهم لموطن العرب ، ولقد كانت المدينة في سابق عصورها معمورة جداً ، لكنها الآن بها أماكن خربة كثيرة ، وبقى جزء معمور قريباً من البحر ، وباستثناء سور برج القلعة ، فالأماكن المعمورة قليلة ،

ولو أردنا أن نميز الإسكندرية عن البحر لوجدنا أنها تقع على موضعٍ منخفضٍ أبيض الرمال ، وتوجد داخل المدينة رابية يسمونها " قعر السطل " تقع جهة شروق الشمس ، وهى رابية منخفضة فوقها برج في جهتها الغربية ، منه يرصدون السفن القادمة من البحر ، حيث يراقب برج الميناء أعلام تلك السفن وتجهز المدافع ، وتطلق بعض السفن التي تدخل الميناء مدافع البشارة ، وثمة برجان عاليان على مخرج الميناء ، يسميه البحارة برجاً ، لكنهُ قلعة بهية فيها مدافع كثيرة ، وهناك أيضاً برجٌ ناحية الشرق ، وميناء الإسكندرية ميناءٌ كبير يراقبونه بالمدافع ، ويلاحظ وجود صخرةٍ في داخل ذلك الميناء ، وصخرة أخرى أيضاً عند مدخل الميناء ، لكنها لا تُرى من سطح الماء الذي يغطيها بأربعة فراسخ ، وتعبر الزوارق مضيق ميمون ، فماؤه ضحل لا يُمرر السفن الكبيرة ، وتدلف السفن الصغيرة للداخل من ناحية الشرق حتى تصل إلى الأحجار المتناثرة الموجودة أمام المدينة ، والواقعة على بُعدِ نصف ميل من بوغاز ميمون ، بينما ترسو السفن الكبيرة بقوة الآلة في الأماكن العميقة ذات الثلاثة أو الأربعة فراسخ ، وبمحاذاةِ البحر تمتد سلسلة أمام السفينة ، ويعهد أمرها لبرج الميناء ، ويلزم إرخاء السلسلة كل يوم .

الورقة (١٥٢ وجه) (لوحة رقم ٦) :-

ترجمة النص كالآتي :-

" يوضح هذا الفصل رسم سواحل نهر النيل ، وليس المُراد برسمنا في هذه الرسالة هو معرفة سواحله كالبحر الأبيض ، أو حتى لمعرفةِ موانئ النيل ، لأن في اعتقاد أهل البحر أن كل ناحيةٍ في نهر النيل هى ميناء ، إنما الهدف هُنا الكتابة عن عدد السفن في البحر الأبيض وأشكال الموانئ ووصفها ، إذ تخرج سفن العسكر من القسطنطينية دار الخلافة ، وتصل إلى ميناء الإسكندرية ،ومن أنواعها سفن الخاصة السلطانية المعروفة باسم " قادرغة " و" برنجة " وسفن المدفعية وسفن الجياد ، وبناءً على ذلك يلزم أن نكتب في هذه الرسالة عن نهر النيل بما فيهِ من جزرٍ ، وبما لهُ من فروع ، وأماكن مجردة ، وأبنية بلاده ومآذنها وأعدادها ، وأية رياحٍ تهب عليه ، وفيضانه وتحديد فصوله كاملةً ، وقد ظهر هذا الشكل بعد أن تم رسم كل التفاصيل السابقة ، ولقد قاس من كان قبلنا المسافة من رشيد إلى مصر من حساب النيل وقدروها بخمسمائةِ ميل ، ولو سُئلَ عن سبب فيضان النيل ، لكانت الإجابة على النحو : إن مناخ المناطق التي ينبع منها النيل مُخالفًا لمُناخ مصر ، فعندما يكون الصيف في تلك المناطق تخف حدة الشمس في المناطق الأخرى ، ويحل بها الشتاء وتهطل عليها الأمطار، وهذا هو سبب فيضان النيل صيفاً ، وخاصةً أنهم يقولون إنه بانتهاءِ الشتاء ينقلب الحال في مناطق المنبع ، وتمر مدة حتى يأتي رويداً رويداً ، كما يقول الذين وصلوا إلى الهند من البرتغاليين ، أنهم شاهدوا منابع النيل أثناء طوافهم بالبحر والثلوج فوقها اثني عشر يوماً

، وبعدما أبحروا نحو ألفِ ميل من تلك الأماكن إلى الهند ، لم ينتهوا من ذلك الشتاء ، وبناءً عليه ، بينما يكون الصيف هُنا يكون الشتاء في تلك المنطقة ، والسلام ".

الورقة (١٥٢ ظهر) (خريطة رقم ٤) :-

عبارة عن خريطة المفروض أنها توضح نهر النيل بروافده وجزره وأبنية بلاده ... كما يقول النص ، وكما يقول عنوان الفصل المكتوب بميلٍ في رُكنها الأيسر السفلي بو فصل نيل) لكن وردة الرياح في هذه الخريطة بؤرتها على الإسكندرية مع عِباراتٍ مرفقةٍ موزعةٍ كما في الخريطة السابقة (أشكال إسكندرية ، ليمان مغرب ، ميمون جك ، قلعة إسكندرية) ، وإنما أضيف هُنا إلى الشرق من وردة الرياح عِبارة " قلعة أبو خور " ولم ترسم قلعة أبو قير، بل كتبت فقط العبارة السابقة ، وفيها جزيرة صغيرة تتقدم خليج صغير أيضاً ، ثم يليه جهة الشرق مصب نهر النيل في البحر " فرع رشيد " دونما إمتداد حتى يخترق الدلتا ويصل إلى القاهرة .

تحليل لِما ورد بالأوراق (١٥٠-١٥١-١٥٢) وخريطتيهما (رقما ٣و٤) :-

بنظرة مقارنة بين الخريطتين (٤،٣) يثبت عدم تطابقهما ، ويتضح ذلك بسهولة من النظر إلى شبه جزيرة فاروس ، ولو عقدنا مُقارنة بين كلٍ من الخريطتين (٤،٣) من جهة ، وبين مجموعةٍ من الخرائط تمثل نفس الموضوع من أعمال سابقة أو مُعاصرة أو لاحقة على تاريخ الخريطتين (٤،٣) ، لتوصلنا إلى حقيقةٍ مؤكدةٍ مفادها أن خرائط نُسخة المكتبة البريطانية من أطلس بيري ريس أقل دقةً و أردأ رسماً وأوجز تفصيلاً من نظائرها ، ويتضح ذلك من العرض التالي :-

رسمت خريطة الإسكندرية في عام ٨٧٦هجري/ ١٤٧٢م (خريطة رقم٥)[٤١] بما يوضح أسوار المدينة وأبراجها ومنازلها بالأسلوب الطبوغرافي ، وفي خريطةٍ أخرى للمدينة- أقدم من سابقتها بقليل – من عصر السلطان المملوكي الأشرف شعبان (خريطة رقم٦)[٤٢] ، ظهرت توزيعات أبواب المدينة في سورها ، والميناء الغربية والميناء الشرقية ، وبرج الناصر محمد وقلعة قايتباي ورأس السلسله، وفي خريطةٍ ثالثة (خريطة رقم ٧)[٤٣] يظهر ميناء أبو قير القديمة أدق من نظيره بالخريطة (رقم٤)

كذلك رسمت خريطة الإسكندرية على الورقة (٤٥ وجه) من أطلس بيري ، من النسخة المحفوظة في مجموعة ناصر خليلي بلندن والمُشار إليها من قبل ،والتي أرجعها "

---

[٤١] زكي (د.عبد الرحمن) :- الجيش المصري في العصر الإسلامي من عين جالوت إلى رشيد (١٢٦٠- ١٨٠٧) موسوعة الجيوش الإسلامية ، ج ٢ ، مطبعة الكيلاني ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ، ص ١٣٨ .

[٤٢] نفس المرجع ، ص ١٣٨ .

[٤٣] نفس المرجع ، ص ١٠٤ .

Soucek " إلى حوالي منتصف القرن ١١هجري/ ١٧م ،[٤٤] ففي تلك الخريطة (رقم٨)، ظهرت قلعة الإسكندرية وثلاثة أبراج أخرى موزعةً على أطراف مداخل الميناء الشرقي والغربي التي يرسو فيها ، وأمامها ثلاثة غلايين مختلفة الأحجام [٤٥]،(٤٥) ولا شك في أن هذه الخريطة أكثر دقةً وتفصيلاً في تعرجات الساحل الطبيعية ، وفي مواقع الأبراج الأثرية الثلاثة التي ذكرها بيري ريس .

وبخصوص القلاع والأبراج التي كانت بالإسكندرية وبعضها تهدم والبعض الآخر مازال باقياً نذكر : قلعة ترسخانة عزبان وقلعة برج مصطفى باشا وقلعة صارو احمد وقلعة أبي قير وقلعة ركن الإسكندرية والقلعة الكبيرة (قلعة قاتيباي) ،فضلاً عنِ القلاع الصغيرة،وهى قلعة كوم السعد وقلعة القباري وقلعة جنيد وقلعة الوحش وقلعة حسن خليل وقلعة الآغا [٤٦].

والمُلاحظ أن بعض هذه القِلاع والأبراج قد بني بعد تأليف بيري لأطلسه ، وتنقيحه عام ٩٣٢هجري/١٥٢٦م ، بل وبعد إعادة نسخ مخطوطة المكتبة البريطانية موضوع الدراسة عام ١٠٢٦هجري/ ١٦١٧م ، بما يحتاج إلى التفصيل التالي :

أشار بيري ريس إلى منار الإسكندرية إشارةً عابرة ، لأنه كان قد تهدّم قبل عصر بيري بعدة قرون ، إذ تهدم عام ٣٤٤هجري/ ٩٥٥م [٤٧]، وبنيت مكانه قلعة قاتيباي ، ولكن وصلتنا رسوم لشكله من العصر الطولوني (شكل رقم١)[٤٨] ، وعصر ياقوت الحموي وزكريا القزويني (شكل رقم ٢)[٤٩] وثمة ثلاثة أبراج ذكرها بيري ورسمها خرائطي نسخة المكتبة البريطانية في مواضعها الصحيحة ، الأول على حافة الطرف الغربي لشبه جزيرة فاروس، والآخر يقابله على حافة الطرف الشرقي لشبه جزيرة فاروس ، والثالث على حافة اللسان الشرقي للميناء الشرقي ، وقد رسمت هذه الأبراج في مساقط

---

[44] Soucek (S) :- Piri Reis & Turkish Mapmaking After Columbus. p.131, 108 ,pl .26 .

[٤٥] الغليون اخترعه البرتغاليون ، وهو سفينة ذات أربعة صوار ، وليس لها مجاديف ، وهو طويل وقليل العمق وسريع الحركة ، ويحتوي على ساحتين للقتال ويحمل الأسلحة الثقيلة كالمدافع وغيرها ، وعرف فيما بعد باسم القباق ، وكان يشكل إحدى قطع الأساطيل العثمانية والأوربية في البحر المتوسط حتى نهاية القرن ١١هجري/ ١٧ م ، أنظر :- خليفة (د.ربيع حامد) :- الفنون الإسلامية في العصر العثماني ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ١٠٤ .

[٤٦] سليمان (د.عبد الحميد حامد) :- تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني ، سلسلة تاريخ المصريين -٨٩ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ م ، ص ١٠٩ .

[٤٧] سرهنك (إسماعيل) :- المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٧٨ .

[٤٨] أحمد (د. عنتر إسماعيل) ، حسام العبادي :- دليل موجز لآثار مدينة الإسكندرية، مؤسسة الجامعة ، الإسكندرية ، دت ، شكل ١-٢ .

[٤٩] الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت) :- معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٥٥ م، ج١ ، ص ١٨٨ ، القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) :- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٩ م ، ص ١٤٧ .

رأسية تشبه الشكل العام لمنار الإسكندرية القديم ، وفي تفاصيل معمارية قليلة يغلب عليها الطابع الكروكي السريع ، وإن كانت في مواقعها الصحيحة التي ذكرها بيري ، والثابت في التاريخ أن الأتراك أقاموا برجين صغيرين حصنوا بهما الميناء الشرقية ، البرج الأول يُقال له طابية فاروس الصغيرة ، ويقع إزاء قلعة قاتيباي ، كما يعرف بطابية السلسلة ، والثاني في موقع مكتبة الإسكندرية الشهيرة ، وكلاهما بناء عادي لا يلفت النظر ،[٥٠] وليست قلعةً بهيةً كما ذكر بيري ، أما قلعة قاتيباي (شكل رقم ٣) فقد رسمت في الخريطتين (٤،٣) ، وهى المكتوب أسفلها عبارة " قلعة إسكندرية " وموقعها صحيح في الخريطتين ، حيث ما تزال هذه القلعة حتى الآن ترتفع في نهاية الطرف الشمالي الشرقي من شبه جزيرة رأس التين بحيث تشرف من هذا الموقع على مدخل الميناء الشرقي ، وشيدت مكان منار الإسكندرية القديم ، ولذا تعرف عند الرحالة الأجانب باسم " المنار الصغير " أو " منصطراكي " ثم سميت بعد ذلك بقلعة المنار ، والقلعة لا ترجع إلى العصر العثماني ، وإنما شيدها السلطان المملوكي قاتيباي عام ٨٨٢هجري/١٤٧٧م ،[٥١](٥١) ثم ظلت محتفظةً بشكلها وعمارتها الأولى خلال العصر العثماني ، وتتكون من جزئين أساسين هما : الأسوار الخارجية ، وهى عبارة عن سور مزدوج مبني من الحجر الجيري بينهما مساحة فضاء ، وتحيط الأسوار الداخلية بالبرج الرئيسي من ثلاث جهات ، وهى عبارة عن أربعة وثلاثين حجرة مستطيلة الشكل ومتجاورة على شكل حواصل تفتح أبوابها على فناء القلعة الفسيح ، أما الجزء الثاني فهو البرج الرئيسي أو البرج الكبير، ويقع في الجهة الشمالية الغربية من المساحة الكلية للقلعة ، ويطلق عليه قلعة قاتيباي ، وهو بناء مربع الشكل في أركانه أربعة أبراج نصف دائرية الشكل ، والبرج يتكون من ثلاثة طوابق،[٥٢] ورسمت قلعة قاتيباي في الخريطتين (٤،٣) بالأسلوب الطبوغرافي ، فهي تتكون من فناءٍ مكشوف محاطاً بسورٍ مرتفع تقطعه عدة أبراج مرتفعة عن السور ، وهى أبراج نصف دائرية تتحول إلى ثلاثية الأرباع في الأركان ، وتتكون من طابقين وتتخللها فتحات المزاغل ، ويُتوّج السور والأبراج بالشرفات ، وبجوار السور الجنوبي يوجد عمود اسطواني ضيق وهو أكثر ارتفاعاً من بقية أبراج السور ، ويشبه في شكله العام عمود السواري بنفس المدينة ، ولعل رسمه بعيداً بعض الشئ عن السور في الخريطة (رقم ٤) إنما قصد به تمثيل ذلك المعلم الشهير بالإسكندرية .

---

[٥٠] زكي (د.عبد الرحمن) :- قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ص ١٤٧ .

[٥١] نفس المرجع ، ص ١٤٧ ، وشكل رقم ٦ ص ١٥٧ ، احمد (د.عنتر إسماعيل) ، حسام العبادي :- المرجع السابق ، صورة رقم ٤ و٥

[٥٢] أحمد(د.عنتر إسماعيل) :- التخطيط العمراني لمدينة الإسكندرية في القرن التاسع عشر ، رسالة دكتوراه بكلية الآداب بسوهاج ، جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٣ م ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٢٦٨

وحددت الخريطة (رقم ٤) موقع قلعة أبو قير دون رسمها ، وأبو قير فرضة تبعد اثني عشر ميلاً من شرقي الإسكندرية واقعة بالقرب من مكان بلدة قانوب القديمة التي لا يعرف مكانها الآن بالتحديد ، لأن تراكم الرمال والتغير الذي حصل في الساحل على مر الزمن قد أضاعه ،[٥٣] والبحيرة التي يقع الميناء عندها تسمى برأس المعدية (٥ بالخريطة رقم ٧) ، وتوجد في أبي قير قلعة مُحاطة بخندق تسمى طابية البرج ، وأبراجها دائرية ، ويعتقد برجوعها إلى الفترة المملوكية ،[٥٤] وفي أبي قير أيضاً قلعة كوسا باشا التي بنيت عام ٩٣٤ هجري/١٥٢٧م ، أي بعد أن انتهى بيري من تنقيح أطلسه ، وثمة مجموعة من المعلومات التاريخية والجغرافية المهمة ذكرها بيري في الصفحات الثلاث السابقة وتحتاج إلى تحليل لما ورد بها كالآتي :-

في السطر السادس عشر من الورقة (١٥٢ وجه) يعترف بيري بكل صراحةٍ وصدق أنه استقى معلوماته عن منابع النيل ممن شاهدوها من البرتغاليين ، لأنه لم يزر هذه المنابع ، أي أنه أخذ عن الأوربيين ، ذلك أن الباحثة التركية (إسن أتل) تقول : " عندما رسم بيري خريطته عن العالم حصل على معلوماتٍ من سجينٍ أسباني صاحب كولمبوس في رحلاته الثلاث إلى العالم الجديد " ،[٥٥] وإن كان الباحثان الأمريكيان " روجرز ، و ورد " يقولان : " لا نملك الدليل على أن بيري استخدم خريطة كولمبس " ،[٥٦] إذن في ترجمة هذه النصوص توثيقٌ لأدلةٍ دامغةٍ على أن بيري استفاد من جهود السابقين في تخصصه ، سواء من الأوربيين ،

أو حتى من الجغرافيين العرب أمثال ابن حوقل والمسعودي والحموي والقزويني وأبو الفدا وغيرهم ممن وصفوا الإسكندرية وتحدثوا عن نشأتها وأعلامها من الصحابة والتابعين .[٥٧]

---

[٥٣] سرهنك (إسماعيل) :- المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٨٠ .

[٥٤] درويش (د. محمود أحمد) :- الاستحكامات الحربية بمدينة رشيد في العصر المملوكي حتى عصر محمد على ، رسالة دكتوراه بكلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ٣١٢ .

[55] Atil (E) :- op .cit ,p .78

[56] Rogers (J.M) & R.M .ward :- op .cit , p .103

[٥٧] ابن حوقل (أبو القاسم ابن حوقل النصيبي) :- كتاب صورة الأرض – ليدن – الطبعة الثانية ، ١٩٢٨ م ، القسم الأول ، ص ١٥١ ، المسعودي (أبو الحسن على بن الحسين) :- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – الطبعة الثالثة – مطبعة دار السعادة بمصر ، ١٩٥٨ م ، ج ١، ص ٣٧٠ ، الحموي (ياقوت) :- المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٢ -١٨٨ ، القزويني (زكريا) :- المرجع السابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٧ ، أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل) :- تقويم البلدان ، باريس، ١٨٥٠ م ، ص ١١٣ ، أما عن الصحابة أمثال أبي الدرداء والتابعين أمثال ثمامة وربيعة وزاهر والأعرج وغيرهم ممن عاشوا وماتوا بالإسكندرية ، فيمكن الاستزادة عنهم من كتاب ، الشيال (د.جمال الدين) :- أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ م ، ص ٣٤ وما بعدها .

وذكر بيري بالسطر السادس عشر من الورقة (١٥١ وجه) معلومة مفادها أن مضيق ميمون أمامه أحجار متناثرة تمنع السفن الكبيرة من الولوج ، وهذه الأحجار إما أن تكون مُلقاة في أماكنها بفعل فاعل هادف كأن تكون لكسر حدة الأمواج التي تأكل الشاطئ ، أو لجعل الميناء غير صالحٍ للملاحة ولعرقلة السفن الحربية المُعادية ، فتاريخ الإسكندرية يشهد بحوادثٍ مُشابهةً ، منها ما حدث عام ٥٦٣هجري/١١٦٧م عندما ألقى والي الإسكندرية بعددٍ كبيرٍ من الأعمدة المُحيطة بعمود السواري في الميناء الشرقية " بو غاز ميمون " عندما هدد الأتراك مصر بغزوٍ بحري في عهد صلاح الدين ،[٥٨] أو تكون هذه الأحجار بمثابة آثار قديمة غارقة بسبب تراجع الشواطئ من نحر البحر ، وفي هذه الحالة تبرز الأهمية الكبرى لدراسة الخرائط المِلاحية لقُدامى الجغرافيين ، فالآثار الغارقة المُكتشفة حديثاً إنما وجدت على بُعد عشرات الأمتار من الشواطئ الحالية للمدينة .[٥٩]

بالسطرين الخامس والسادس من الورقة (١٥٢ وجه) أشار بيري إلى بعض أنواع السفن كالخاصة السلطانية ، البرنجة أو الأولى ، وسفن المدفعية (الغلايين) وسفن الجياد والقاردغة ، وعلى الرغم من ذلك خلت الخرائط موضوع الدراسة ، بل كل خرائط نسخة المكتبة البريطانية من رسوم السفن ، لكن النسخة الأصلية التي رسم خرائطها بيري ريس مزوقة برسوم السفن ، وأيضاً خريطته عن العالم (خريطة رقم ١) وكذلك نسخة ناصر خليلي (خريطة رقم ٨) وغيرهم .

استخدم بيري " الفرسخ " كوحدة لقياس عمق الماء ، والفرسخ يساوي اثني عشر ألف ذراعاً شرعياً (الذراع الشرعي يساوي ٤٩,٣ سم) أو ستة آلاف ذراع إسلامبولي ، أو أربعة أميال ونصف الميل ، و كانت أداته في ذلك القياس هى آلة " إسقانديل " [٦٠] التي يتم إلقائها في الماء من فوق ظهر السفينة وتستمر في الهبوط السريع حتى تلامس قاع البحر ، ويبدو لي أن هذه الآلة مربوط فيها حبل متين وملفوف حول بكرةٍ مُثبتةٍ إلى قائم بالسفينة لكى تسمح بحرية حركة الحبل ذي العلامات ، ولم يقس بيري عُمق المياه بجوار الساحل أو قريباً منه فحسب ، وإنما تعمق في عرض البحر لمسافاتٍ كبيرةٍ لمعرفة أعماقه المختلفة ، بل وربط بين تلك المسافات والأعماق ، كما سنرى عند حديثه

---

[٥٨] الشيخ (د.حسين) :- المصادر التاريخية والأثرية لمدينة الإسكندرية المغمورة (ضمن كتاب تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور) سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٢٠٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ م ، ص ٣٨٠

[٥٩] عوض (د.حسن البنا) :- التراث السكندري المغمور في الإدارة المتكاملة للمناطق الساحلية (ضمن كتاب تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور) ، ص ٤٧٠ .

[٦٠] يمكن أن تكون هذه الآلة سبباً في دراسةٍ موسعةٍ للآثار المادية المتعلقة بالسفن وفن الملاحة مثل البوصلة البحرية والنظارة (التلسكوب) والبندوليم والربعية والهلب (المرساة) والجنازير والخرائط المجسمة وغيرها ، خاصةً وان المتاحف البحرية بالقاهرة وإستانبول تحتفظ بنماذج من هذه الآثار ترجع إلى القرون الثلاثة الأخيرة .

المُقبل عن رشيد ، فقال : كل فرسخ في العمق يقابله مقدار ميل حتى تصل للساحل (السطر السابع من الورقة ١٥٤ وجه)
ثمة مجموعة من الجزر والقرى الساحلية ذكرها بيري على الصفحات الثلاث السابقة، بعضها اندثر والبعض الآخر مازال باقياً وإن تغيرت مُسميّات بعضه ، حيث ذكر رأس عوسج ، جزيرة الحمام ، عمدين الجق ، جزيرة الساري " المجمع " بلوم بي " بونته " رابية قعر السطل ، أبو خور " أبوقير " ، الكنايس ، والأخيرة نجع واقع على رأس الكنايس بشاطئ البحر المتوسط ، بينها وبين الإسكندرية ٢٣٨ كيلومتر ، سميت عام ١٣٦٠هجري/١٩٤١م " رأس الحكمة " ،[٦١] والحمام قرية قديمة وردت باسم ذات الحمام غربي الإسكندرية في طريق برقة على بُعد ٧٤ كيلومتر من مدينة الإسكندرية [٦٢].

الورقة (١٥٤ وجه) (لوحة رقم ٧) :-

وتترجم إلى الآتي :
" يتناول هذا الفصل سواحل مدينة رشيد ، ورشيد المذكورة من قبل يمكن الوصول إليها عندما يظهر عكار نهر النيل في البحر بمسافة خمسةٍ وعشرين ميلاً ، فلو قيس عمق الماء العكر باستخدام الإسقانديل ، فكان خمسة وعشرين فرسخاً ، لأصبح المتبقي حتى نصل إلى الساحل خمسة وعشرين ميلاً ، وساحل البحر المواجه لمصب النيل ضحل المياه هناك ، وبسبب هذه الضحالة قاس أهل الخبرة العمق وقالوا : " إن مُعدّل كل فرسخ في عمق الماء العكر يقابله ميل حتى نصل إلى الساحل " ، ويُعرف عكار مياه رشيد إذا التصق بالإسقانديل رمل مختلط به طين بري ،وقبل الاقتراب من الساحل بمقدار عشرة أميال يلوح في الأفق برج رشيد وسط مكانٍ يكثر فيه النخيل ، وهو برج يشبه الشراع البراق ، ويمكن الوصول إليهِ مُباشرة ، وعندما عرف مصب النيل تلقى مرساة السفينة وتأتي مراكب صغيرة حملت المتاع لتضعه داخل نهر النيل ، فبوجود السفن الصغيرة يمكن الدخول بالأحمال من المصب ، وبينما ندلف للداخل باتجاهِ الجنوب كان بناحية الغرب برج آخر محصن يراقب مصب النيل ، ويُرى كشراعٍ براق ، وبناءً على القياس تبلغ المسافة من البرج المذكور إلى داخل مدينة رشيد ثلاثةً أميال أو ثلاثة أميال ونصف الميل ، والمدينة جميلة وتقع على أرضٍ منخفضةٍ ومستوية ، ويتميز أهلها بأخلاقهم الحميدة ، وهم متجانسون فيما عدا وجود العرب بينهم ، وهم يطردون من مدينتهم الفسقة والنساء المتجولة ، فعادتهم منذ القِدم بهذه الصورة .
وما أن نصل لساحل البحر المواجه لرشيد حتى نجد ثلاث جزرٍ صغيرة ، الكبيرة منهن منخفضة ،وتقع ناحية هبوب رياح يلدز ، وهى جزيرة ذات نخيل ، وثمة ثلم بالجزيرة الواقعة قرب رشيد والتي تلي الجزيرة الصغيرة الوسطى ، ويقع البوغاز شرق هذه

[٦١] رمزي (محمد) :- المرجع السابق ، القسم الثاني ، الجزء الرابع ، ص ٢٥٣ .
[٦٢] نفس المرجع ، ص ٢٤٩

الجزر ، ويسمونه " معيذال " وكانوا يطلقون عليه حتى وقتٍ قريب اسم " صاري احمد " وتأتي سفن الكفار لساحل رشيد فتصادف فجأة بوغاز معيذال ، فتدلف منه على الداخل ، لكنها منذ أن تحررت من أيدى الكفار سمى البوغاز " صاري أحمد

الورقة (١٥٥ ظهر) (خريطة رقم ٩) :-

توضح هذه الخريطة مصب النيل عند مدينة رشيد ، والجزر التي تتقدمه ، فأسفل يسار الخريطة وبشكلٍ مائل كتبت عبارة " بو فصل رشيد " وفى منتصف أعلاها كتبت هذه العبارة : " أشكال نيل ومع جانب بوسمدر " ، وهى بمثابة عنوانها ، وأسفل منها عبارة "قابوانجه " أي باب إنجه ، وعند المصب عبارة " رشيد بوغازي " أى مضيق رشيد ، وعلى الجزيرة الكبيرة عدة عبارات كالآتي : " نيل كنار لريدر " أي حدود النيل ، ثم عبارة "طوردكيزي " أي بحر طور ، ثم عبارة " يمن ولايتي " أي ولاية يمن ، ثم عبارة " خور حور دكيزي " أي بحر خور حور ، كما كتب على جزيرة الهمزة اسمها " جزيرة الهمزة " ، وأسفلها عبارة مطولة نصها " بواراده أولكي زماندن أون إيكي بيك جاذوا ولور لرايمش " ، وترجمتها : " كان في هذه الجزيرة في زمنٍ سابق اثني عشر ألف ساحر " ، وثمة جزر أخرى صغيرة متجاورة ، لكن وردة الرياح تتمركز على أكبر الجزر مساحةً .

الورقة (١٥٦ ظهر) (خريطة رقم ١٠) :-

هذه الخريطة تكملة لسابقتها مع إضافات لدلتا النيل وفرعيه ، فثمة عبارة بأعلى الخريطة نصها " أشكال رشيد كنارلري أشبور سمدر " أي أن هذا الرسم يبين أشكال سواحل رشيد ، وفي أسفل يسار الخريطة عبارة نصها " بو فصل تينة " أي أن الطينة هى موضوع الفصل القادم ،فضلاً عن مجموعةٍ من العبارات المكتوبة قرين كل اثر أو معلم كالآتي : قلعة رشيد ، " رشيد قرشو سنده أولر أدا لردر " أي جزر في مواجهة رشيد ، " نيل قرشيسنده ادا لردر " أي جزر في مواجهة النيل ، " قلعة بورلوس " أي قلعة البرلس ، ثم " قلعة دمياد" أي قلعة دمياط ، وبالفعل فإن بؤرة وردة الرياح فوق جزر وسواحل رشيد ، ودخلت مع الدائرة معظم بحيرة إدكو التي توشك أن تنفصل عن البحر وتصير بحيرة مغلقة ، هذا وإن كانت الخريطة السابقة (رقم ٩) قد خلت من رسوم الاستحكامات الحربية ، إلا أن هذه الخريطة قد رسمت قلعة وبرج رشيد وقلعتي البرلس ودمياط بنفس الأسلوب الطبوغرافي السابق في استحكامات الإسكندرية ، كذلك وضحت الإنحناءات الطبيعية لفرعي النيل " رشيد ودمياط " حتى قبيل التقائهما عند القاهرة .

تحليل لِما ورد بالورقة (١٥٤ وجه) وبالخريطتين (٩ و١٠) :-

في باب المقارنات بين الخريطة (رقم ١٠) وما يمثل موضوعها في أعمالٍ أخرى نجد اختلافاتٍ كثيرةٍ ، فمصاب النيل رسمت على الورقتين (٣٥٠ ظهر ، ٣٥٢ وجه) من

النسخة الأصلية من أطلس بيري ،وثمة خريطة تمثل القسم الشرقي من البحر المتوسط (خريطة رقم ١١)[٦٣] من الأطلس الهمايوني المحفوظ بمتحف الآثار بإستانبول، والمُشار إليه من قبل، رسمت دلتا النيل بأكثر من فرعين ، وباختلافٍ كبيرٍ في منابع ومصاب هذه الفروع ، وبشكلٍ يبعدها عن الواقع الجغرافي لها ، والذي رسم بدقة في خريطةٍ تمثل حوض البحر المتوسط (خريطة رقم ١٢)[٦٤] من نسخةٍ أخرى من أطلس بيري محفوظة بمكتبة جامعة إستانبول برقم (٦٦٠٥) والمُشار إليها من قبل ،وفيها فرعان فقط للدلتا ، وتعرجات النيل في صعيد مصر طبيعية المسار ، وإن كان فرعا رشيد ودمياط في الخريطة موضوع الدراسة (خريطة رقم ١٠) لم يلتقيا عن القاهرة ، ولم ترسم مدينة القاهرة ، لكن نسخةً أخرى من أطلس بيري محفوظة بمجموعة ناصر خليلي ، قد أظهرت القاهرة وجزءاً من النيل على الورقتين (٤٨ ظهر ، ٤٩ وجه)[٦٥] ، أما خريطة النيل والدلتا (خريطة رقم١٣) المحفوظة بمكتبة الفاتيكان برقم (٧٣- تركي) والتي يوجد هناك احتمال كبير أن يكون راسمها هو الرحالة التركي المشهور " أوليا جلبي " المتوفى عام ١٠٩٥ هجري/ ١٦٨٤ م ، وقال بهذا الاحتمال الباحث التركي " أحمد قره مصطفى "[٦٦] بناءً على أن الخريطة يصاحبها نصوص كثيرة من الفصل العاشر من كتاب " سياحت نامة " وهو جزء يصف السودان والنوبة ومصر ، وعلى أى حال، فالخريطة توضح منابع النيل ومصابه التي تحدث عنها بيري ريس وأخذ حديثه عن البرتغاليين ، كما سبق القول ، لكنها لم ترسم في نسخة المكتبة البريطانية .

الاستحكامات الحربية :-

لم تهتم الخرائط موضوع الدراسة برسم طبوغرافيا المدن وتخطيطاتها وأسوارها وأبوابها ، فأغفلت رسم مدينة السلُّوم والإسكندرية ورشيد ودمياط والتينة والعريش ، لكنها لم تهمل رسوم الاستحكامات الحربية ، ففي الخريطة (رقم ١٠) رسمت قلعة رشيد في موقعها الصحيح على الضفة الغربية من النيل ، وكتب بجوارها عبارة " قلعة رشيد " ، وتتكون من خمسة أبراج مستديرة بها فتحات المزاغل ، مخالفة بذلك للواقع المعماري ، فالعثمانيون لم يهتموا بإنشاء الاستحكامات في رشيد ، والقلعة برمتها أنشأها السلطان قاتيباي عام ٨٧٦ هجري/ ١٤٧١ م ، وانشأ سلسلة تربطها مع برج معيذال ، وهى (شكل رقم ٤)[٦٧] تشبه بدرجةٍ كبيرة الحصن الداخلي في قلعته بالإسكندرية ، فقلعة رشيد عبارة عن بناء مربع بأبراجٍ مستديرة في أركانه الأربعة ، ولم يقم العثمانيون

---

[63] őzdemir (k) :- op .cit .pp .102 ,103

[64] ibid ,pp .64 ,65

[65] Soucek (S) :- op .cit .pl .16

[66] Karamustafa (A.T) :- "Military , Administrative and Scholary Maps and Plans " The History of cartography , Book one , 2001 .p . 223 .

[٦٧] زكي (د.عبد الرحمن) :- قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة ، شكل ٧ ، ص١٦٢ .

بإجراء تعديلات بها ، وأبقوا على الوضع القديم كما هو ، وما زالت بعض آثار القلعة قائمة إلى اليوم .[٦٨]

وثمة قلعة أخرى في رشيد بنيت عام ٧٧٥ هجري/١٣٧٣ م ، تبعد عن قلعة قاتيباي بسبعةِ أميال ، كما تبعد عن البوغاز بعشرة أميال ، ولعلها المقصودة بذاك البرج الصغير المرسوم على طرف الشاطئ الغربي من البوغاز بالخريطة (رقم ١٠) أي أن الشاطئ الشرقي خلا تماماً من رسوم الاستحكامات ، على الرغم من أن الرحالة سيزار لامبرت (C.Lambert) الذي زار مصر عام ١٠٣٧هجري/ ١٦٢٧ م ، ذكر أن في رشيد قلعتين متقابلتين في الميناء ، كما ذكر الرحالة " بول لوكا " الذي زار المدينة عام ١١١١ هجري/ ١٦٩٩ م ، الحصن الذي يقابل القلعة على الشاطئ الشرقي للنيل ، ويعرف بصارو أحمد .[٦٩]

وظهرت أيضاً في الخريطة (رقم ١٠) قلعة البرلس ، وهى قلعة صغيرة رابضة على شط بحيرة البرلس بين فرعي رشيد و دمياط ، ولا تعدو في بساطتها عن كونها سوراً ممتداً ترتفع عنه ثلاثة أبراج اسطوانية مزودة بفتحات المزاغل ، وقد ذكرها أيضاً الرحالة سيزار لامبرت .[٧٠]

والاستحكام الأخير في الخريطة (رقم ١٠) هو قلعة دمياط المرسومة على البر الشرقي للنيل ، بحيث تشرف من خلال موقعها على البحر وعلى النيل في وقتٍ واحد ، وهى منفذة بالأسلوب الطبوغرافي المتبع في كل الخرائط موضوع الدراسة ، ويرتفع عن أسوارها أربعة أبراج اسطوانية تتخللها فتحات تهوية (مزاغل) وتعلوها شرفات ، أي أن راسم الخريطة اكتفى برسم قلعةٍ واحدةٍ في ثغر دمياط الذي كان يشتمل في العصر العثماني على ثلاث قلاع هى : قلعة السلطان المملوكي جقمق ، وسميت فيما بعد بالقلعة السلطانية ،وهى المرسومة بالخريطة المذكورة ، وقبالتها على الضفة الغربية كانت القلعة الثانية المُسمّاة بقلعة عبد الصمد والمنشأة عام ١٠١٨ هجري/ ١٦٠٩ م ، وتسمى أيضاً بالقلعة المستجدة بالبر الغربي بفوهة الثغر ، أما القلعة الثالثة فكانت تسمى قلعة الطينة ، وتقع عند البوغاز الموصل بين بحيرة المنزلة والبحر المتوسط [٧١]، وبهذا يكون الصواب قد جانب الدراسة التي أشارت إلى ان قلاع بوغاز دمياط كلها من عصر محمد على باشا، ومن عصر الحملة الفرنسية .[٧٢]

---

[٦٨] نفس المرجع ، ص ١٦٠ ؛ درويش (د.محمود أحمد) :- المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ٥١

[٦٩] درويش (د.محمود أحمد) :- المرجع السابق ، ص ٤٦ ، حسن (نيفين مصطفى) :- رشيد في العصر العثماني ، دراسة تاريخية وثائقية ، مراجعة وتقديم د. محمد السروجي ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ م ، ص ٤٣٥ .

[٧٠] سرهنك (إسماعيل) :- المرجع السابق ، ج٢، ص ٨١ ، حسن (نيفين مصطفى) :- المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

[٧١] سليمان (د.عبد الحميد حامد) :- المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

[٧٢] درويش (د.محمود أحمد) :- المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .

وفي هذا الموضع يتبادر إلى الذهن نفس السؤال السابق وهو أن بيري ريس كان قد نقح نسخته الثانية من الأطلس عام ٩٣٢ هجري/ ١٥٢٦ م ، وعليه فلم ترسم بالخريطة سوى القلعة السلطانية الموجودة منذ عهد السلطان جقمق ، وما عداها بُنى لاحقاً ، لكننا نذكر هنا بان نسخة المكتبة البريطانية إنما رسمت خرائطها عام ١٠٢٦ هجري/ ١٦١٧ م ، وعليه فإن راسمها لم يلاحق التغيرات المعمارية .

ولو قارنّا بين الخريطة موضوع الدراسة وخريطة أخرى لنفس الموضوع من عصر ياقوت الحموي ، لاتضح لنا أن ثمة تغيراتٍ حدثت لهذه المنطقة الساحلية ، فخريطة الحموي (شكل رقم ٥) جعلت من تنيس جزيرة بينها وبين البحر الأعظم (الأبيض) بر حائل يمتد في تقوس فيما بعد بين دمياط والفرما .[٧٣]

أما القضية الأخيرة في هذا الموضع فهى تلك الأبراج الاسطوانية التي رسمت في كثيرٍ من الاستحكامات الحربية ، سواء موضوع الدراسة أو ما سبقها من خرائط بنسخة المكتبة البريطانية ، ففي كتاب " وصف مصر " صور لبعض أحياء دمياط وضواحيها يظهر في أعلاها صور سورٍ به باب يمكن مقارنته برسم سورٍ لمدينة دمياط في صورٍ فرنسية - من القرن ٩هجري/١٥ م – تمثل إحدى الحملات الصليبية على دمياط ، ويتضح في هذه الصورة أجزاء من سور دمياط تتخلله أبراج ذات مساقط دائرية ، فضلاً عن بابٍ في أحد أركان السور أسفل برجٍ مربعٍ يعلوه طابق دائري ، ويمكن مقارنة هذه الأبراج ببعض أبراج قلاع السنانية وبرج الصفارة في دمياط ، ومن المُلاحظ أن هذه الصورة مرسومة حسب الأسلوب الدولي الذي ظهر في غرب أوربا في نهاية القرن ٨هجري/١٤م وبداية القرن ٩هجري/١٥ م ، والذي تأثر بعض التأثر بالفن الإسلامي ، كما يتضح هذا الأثر في صورةٍ من عمل " جنتيلي دافبرايانو " في الأوفيتسي بفلورنسا من عام ٨٢٧ هجري/ ١٤٢٣م تمثل تبجيل الملوك ، ومما يسترعي الانتباه أن هذه الأبراج دائرية المسقط في الصور الفرنسية تشبه الأبراج القوطية في رودس التي أقامها الإسبتارية ، ومن المعروف أن هؤلاء الفرسان كثيراً ما اشتركوا في الحملات الصليبية ، وربما تأثر مصور هذه الصورة بتصميم الأبراج القوطية،[٧٤] والخلاصة أن التأثير والتأثر ثابت من خلال هذه الصور في الأبراج الاسطوانية، حتى قبل الاحتكاك المُباشر بين العثمانيين والأوربيين .

وعلى الأسطر الأولى من الورقة (١٥٤ وجه) ذكر عكار نهر النيل في البحر ، والترسيبات الطينية التي التصقت بالإسقانديل عند قياس العمق ، ولاشك في أن عاملاً طبيعياً يتمثل في فيضان النيل السنوي - وما يحمله من غرينٍ وطمي- تعقبه تلك

---

[٧٣] الحموي (ياقوت) :- المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٥٣ .

[٧٤] حسن الباشا (د. محمود):- سواحل مصر الشمالية في الفن الإسلامي (ضمن كتاب سواحل مصر الشمالية عبر العصور) تاريخ المصريين ، العدد ٢٠٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ م ، ص ٤٤١ .

الترسيبات ، لكن ثمة عامل بشري آخر يتمثل في أن السلطان سليم الأول أمر في عام ٩٢٣ هجري/١٥١٧ م بنقل جبال الأنقاض التي كانت تهدد القاهرة وبقيةِ مُدن مصر أن تدفنها تحتها ، فأمر بنقل هذه المخلفات براً ونهراً إلى مصبات النيل ،[٧٥] كما أن بعض المصادر السابقة على العصر العثماني أشارت إلى أن السفن لا تدخل ميناء دمياط مباشرةً ، بسبب شدة التيار من النيل ، وكذلك لردم جزء من فم البحر عندها [٧٦].

الورقة (١٥٦ ظهر) (لوحة رقم ٨) :-

وتترك ترجمة السطور الستة الأخيرة من هذه الصفحة لأنها تخص غزة ، ويترجم الباقي كالآتي :

" يتناول هذا الفصل سواحل تينة ، وتينة هى قلعة خربة تقع فوق بروز بري داخل في البحر ، منخفض ورماله بيضاء ، وقد شيد المصريون برجاً في الناحيةً الغربيًة من تلك القلعة لمراقبة ميناء تينة ، بينما توجد ثلاثة تلال على الجانب الشرقي من قلعة تينة المذكورة ،وتلك التلال هى علامة تينة من البحر ، ولو أرادوا الدخول لميناء تينة ، فيجب أن يدوروا حول البرج الموجود على مخرج الميناء الأيسر ، ثم يدخلون الميناء تجاه القِبلة ، وبعد دخول الميناء يلقون مراسي السفن على الجانب الغربي من فوهة الميناء في مكانٍ عمقه أربعة فراسخ ، ويشبه ميناء تينة مقبض [قفل] البحر ، ومياهه ضحلة ، وأسماكه كثيرة ، ولذا تصطاد طائفة العرب الأسماك في تلك المياه الضحلة ، وإذا رست سفينة ما في البحر خارج ميناء تينة تواجه هبوب رياح " قرة بيل " من ناحية الغرب ، وهى التي تحجب رؤية التلال الثلاثة الرابضة على الجانب الشرقي من تينة ، كما يوجد بروز بري داخل البحر رماله بيضاء براقة على بعد عشرين ميلاً شرق التلال المذكورة ، وتجتاز السفن ذلك البروز حتى تصل إلى غزة باتجاه رياح يلدز ، والمياه ضحلة لذا لا تصلها السفن الكبيرة ، وعلى هذا الطريق تقع بحيرة العريش ، وهى متفرعة عن البحر وتشبه مقبض [قفل] البحر ، وأسماكها كثيرة ، أما العريش فهى قرية على البر تقع خارج تلك البحيرة ، وفي تلك القرية يقبع جباة المكوس يجبونها على المترددين ذهاباً وإياباً ، وتبلغ المسافة من فوهة بحيرة العريش إلى غزة سبعين ميلاً " .

الورقة (١٥٧ ظهر) (خريطة رقم ١٤) :-

يوجد عنوان الخريطة في أعلى منتصفها ، ونصه كالآتي : "أشكال تينة وعقبة وراس بور سمدر " ، أي أن هذا الرسم يوضح أشكال تينة وعقبة ، أما العبارة المكتوبة بميلٍ في أسفل يسار الخريطة ، فهى بمثابة عنوان الفصل القادم " بو فصل شام " أي ان الفصل القادم سيتناول الشام ، وتتمركز بؤرة وردة الرياح فيما بين تينة والعريش ، فالعريش كتب اسمها بجوار بحيرتها (العرايش) أما مصب النيل عند دمياط ، فينتهي

---

[٧٥] درويش (د.محمود أحمد) :- المرجع السابق ، ص ٥١ .

[٧٦] الحموي (ياقوت) :- المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ ، القزويني (زكريا) :- المرجع السابق ، ص ١٩٣ ، ابو الفدا (عماد الدين) :- المرجع السابق ، ص ١١٧ .

ببحيرةٍ واسعة كتب بجوارها عبارة "اداجقلر واردو" أي جزر صغيرة ، وثمة قلعة صغيرة رسمت بالأسلوب الطبوغرافي على الساحل الشرقي للبحر والبحيرة تمثل قلعة تينة ، ولم يرسم البرج المقابل لها في الناحية الغربية ، كما ظهر جزء من فرع النيل عند رشيد ومصبه في البحر خارج وردة الرياح .

تحليل لِما ورد بالورقتين السابقتين (اللوحة رقم ٨ والخريطة رقم ١٤) :-

الطينة بليدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر[٧٧] ، وقد تم بناء قلعة الطينة على الساحل أيام السلطان المملوكي قانصوه الغوري[٧٨] ، وكانت هناك قلعة في كل من الطينة والفرما أجريت بهما حفريات حديثة ، أثبتت أن قلعة الطينة ذات تخطيط معماري فريد في العمارة الدفاعية الإسلامية[٧٩] ، ومن أسف أن رسم قلعة الطينة بالخريطة (رقم ١٤) لم يوضح هذا التفرد ، فالقلعة رسمت بالأسلوب الطبوغرافي المألوف في مثل نظائرها ، وإن بدت طوابق ثلاثة عبر البرج الاسطواني الكبير الذي يرتفع عن أسوارها ذات الشرفات .

ولم تظهر قلعة العريش على الخريطة المذكورة ، مع أن آثارها ما تزال باقية حتى اليوم ، وقد بنيت عام ٩٦٨ هجري/١٥٦٠ م ، أي قبل إعادة نسخ مخطوط المكتبة البريطانية بقرابة ستة عقود ، وفوق باب القلعة طغراء السلطان سليم بن سليمان بن با يزيد ، وتخطيط القلعة (شكل رقم ٦) مربع تقريباً ، وفي كل ركنٍ من أركانها الأربعة يوجد برج ، واشتمل فناؤها على بناءٍ واسعٍ بطبقتين ،[٨٠] والعريشُ- كمدينة- هى قاعدة قسم سينا الشمالي ، واقعة على شاطئ البحر المتوسط قرب نهاية الحد الشرقي لأرض مصر[٨١] .

مميزات خرائط نسخة المكتبة البريطانية وخصائصها :-

تناولت الدراسة نصوص وخرائط سواحل مصر المُطلّة على البحر المتوسط ، وهى سواحل تمتد إلى ما يزيد على الألف كيلومتر ،[٨٢] بين الحدود الشرقية عند العريش

---

[٧٧] الحموي (ياقوت) :- المرجع السابق ، ح ٤ ، ص ٥٦ ، أما سرهنك فاعتبر الطينة هي الفرما ، أنظره ج ٢ ، ص ٧٥

[٧٨] عبد المالك (سامي صالح) :- قلعة الفرما وضواحيها "بوابة مصر الشرقية" دراسات في آثار الوطن العربي ، الملتقى الثالث لجمعية الآثاريين العرب ، الندوة العلمية الثانية، الجزء الثاني ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م ، ص ٨٨٣ .

[٧٩] نفس المرجع ، ص ٨٨٤

[٨٠] زكي (د.عبد الرحمن) :- المرجع السابق ، شكل ٥، ص ١٤١ .

[٨١] رمزي (محمد) :- المرجع السابق ، القسم الثاني ، الجزء الرابع ، ص ٢٦٣ .

[٨٢] حليم (يوسف) :- تأثير العوامل الطبيعية والبشرية على واجهة مصر البحرية (ضمن كتاب تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور) ، ص٤٧٧ ، أما سرهنك فقال يبلغ طولها (٨٧٠) كيلومتر ، أنظره ، ج ٢، ص ٧١ .

والحدود الغربية عند السلوم ، ولقد اتفق على الشيوع على تعريف المنطقة الساحلية بأنها الشريط الضيق نسبياً من المياه و الأراضي الموازية للشاطئ البحري وما بها من معالم طبيعية وإنشائية ،[٨٣] هذا وقد تميزت مجموعة الخرائط المرسومة في نسخة المكتبة البريطانية –وضمنها مجموعة الدراسة- بعدّة خصائص نحصرها في الآتي :-

أ- تندرج هذه الخرائط ضمن الخرائط البحرية الساحلية الملاحية [٨٤]، فكل تركيزها على مصبات الأنهار والبحيرات والشواطئ والشِعاب ، والموانئ والمصائد والاستحكامات الحربية .

ب- تنحصر مقاسات الخرائط فيما بين ٢٥سم للطول ، ١٥ سم للعرض ، تزيد او تنقص قليلاً ، فالمقاس الكلي لورقةِ المخطوط هو ٢٩,٣ × ٢٠,٤ سم ، كما سبق أن ذكرت ، ولو نظرنا إلى القائمة الحصرية لنسخ كتاب "بحرية " ، لتأكدنا من أنه لا يكاد يتطابق مقاس خرائط نسخةٍ مع نسخةٍ أخرى من نفس المخطوط ، هذا وقد رسمت كل خريطة على صفحة مستقلة قائمة بذاتها سواء على وجه الورقة أم على ظهرها .

ت- جميع خرائط نسخة المكتبة البريطانية محصورةً في إطارٍ لها يحدها من جميع الجهات الأربع عبارة عن خطٍ مستقيم ليس بالعريض ولا بالرفيع ، ويتساوى الفراغ المتروك بأعلى الخريطة خارج الإطار مع نظيره الأيسر ، وقد خلت تلك الأطر من أيةِ زخرفة .

ث- اشتملت كل خريطة من هذه الخرائط على عنوانٍ لها داخل إطارها مكتوب بأعلى منتصفها في سطرٍ مُستقيم باللغة التركية ، وذلك بتفصيلٍ غير ممل وباختصارٍ غير مُخل هكذا (أشكال رأس ستين بور سمدر ، إسكندرية بور سمدر ، أشكالً إسكندرية ، أشكال نيل ومع جانب بور سمدر ، أشكال رشيد كنار لري اشبور سمدر ، أشكال تينة وعقبة وراس بور سمدر) كما اشتملت نفس الخرائط ، وفي ركنها السفلي الأيسر ، وفي سطرٍ مائل عِبارة بالتركية تشير إلى عنوان الفصل القادم أو عنوان الفصل المرسومة فيه الخريطة حسب موقعها بوجه الورقة أم بظهرها ، هكذا (بو فصل تمرق، بو فصل إسكندرية ، بو فصل نيل ، بو فصل رشيد ، بو فصل تينة ، بو فصل شام) ، والحق أن النسخة الأصلية من أطلس "بحرية" والتي رسم بيري ريس خرائطها بيده ، كانت مُقسمة إلى فصولٍ مُحددةٍ بدقة لكل منطقة من مناطق البحر

---

[٨٣] عوض (د.حسن البنا) :- المرجع السابق ، ص ٤٦١ .

[٨٤] تصنف الخرائط تبعاً لموضوعها إلى مجموعتين :- خرائط بشرية ، وخرائط طبيعية، وتشمل الثانية عشرة أنواع منها الخرائط الهيدرولوجية أو البحرية ، والتي تصنف بدورها على أساس الغرض منها ومنطقة استخدامها ومقياس رسمها ، إلى ثلاثة أنواع هى : المخططات أو المشارف وتظهر التفاصيل البحرية والبرية بتفصيلٍ شديد ، والخرائط البحرية المحيطية ولا تظهر عليها المعالم التفصيلية لخطوط السواحل ، ثم النوع الأخير وهو الخرائط البحرية الساحلية .
زيادي (د. إبراهيم) :- مبادئ الخرائط والمساحة ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، ص ٢٠٣ .

المتوسط ورسمت لها خريطة محددة ، أما النسخ المأخوذة عن الأصل ، فخرائطها مُتغيرة في عددها ، بل أنها تضمنت خرائط جديدة لا تتصل بفكرة الفصول [٨٥]، وهذه النوعية من الخرائط بوصفها السابق تعد خرائط إقليمية محلية قليلة ، بل لعلها غير معروفة في الفترة العثمانية قبل بيري ريس ، ثم انتشرت في أوربا في القرن ١١هجري/١٧م وما بعده .[٨٦]

وثمة مجموعة من الخرائط المنشورة من نسخ أخرى من أطلس بيري تمثل مدينة غاليبولي من نسخة مكتبة آيا صوفيا (برقم ٣١٦١) ، وأخرى تمثل ميناء مرمرة من نفس النسخة السابقة (خريطة رقم ١٥) ، وثالثة عن مدينة البندقية من نسخة مكتبة جامعة إستانبول (برقم ٦٦٠٥) ورابعة عن جزيرة كريت من نسخة مكتبة آيا صوفيا، وخامسة عن جزيرة قبرص من نفس النسخة ،[٨٧] وسادسه عن جزيرة خيوس (صاقز) باليونان من نسخة متحف طوبقابوسراي (برقم ٦٤٢) وسابعه عن ميناء نوفجراد من النسخة السابقة وغير ذلك .[٨٨]

وبمقارنة تلك الخرائط بالخرائط موضوع الدراسة في خاصية الكتابات المُصاحبة للخرائط يتبين أن الخرائط المقارنة كتابتها مُسهبة ، بل من فرط كثرتها يوضع العنوان أحياناً في إطارٍ مُستطيل داخل إطار الخريطة (رقم ١٥) ، ولم تشتمل مُعظم الخرائط المُقارنة علىً عنوان الفصل القادم والمكتوب بميل أسفل يسار الخرائط موضوع الدراسة ، وفي جميع الخرائط السابقة سواء المُقارنة أو موضوع الدراسة كانت تكتب باللغة التركية أسماء الموانئ والمدن وكل المعالم الطبيعية والإنشائية قرين كل منها على الخريطة ، بل تُضاف أحياناً معلومات توضيحية أخرى ربما غفل عن تدوينها النص فأدرجت على الخريطة مثل جزيرة الهمزة التي كان يقطنها في الزمن الغابر اثني عشر ألف ساحر (خريطة رقم ٩) .

ج- استخدمت هذه الخرائط الاتجاهات ، فلم تخل خريطة من رسم وردة الرياح ،[٨٩] التي يخرج منها سهم يشير إلى اتجاه الشمال ، ويتراوح قطر وردة الرياح في الخرائط مجموعة الدراسة ما بين ١٠ : ١٤ سم يزيد أو ينقص قليلاً في بقية خرائط نسخة

---

[85] Soucek (S) :- Islamic charting in the Mediterranean (The History of Cartography). p . 272

[86] Karamustafa (A.T) :- op .cit .223.

[87] őzdemir (k) :- op .cit .pp .63 , 67 , 69 , 70, 71, 72, 73

[88] Soucek (S) :- op .cit . figs 14-9 ,14-10 ,14-11 ,14-12 ,14-13 ,14-14 .

[٨٩] حملت السفن الأوربية البوصلة البحرية منذ القرن ٧ هجري/ ١٣ م ، أي بعد معرفة العرب والصينيين لها ، لكن الأوربيين طوّروها فجعلوها إبرةً محوريةً تدور فوق وردة البوصلة الموضح عليها اسم الجهات الأصلية الأربع واتجاه الرياح ، فأعطت البوصلة الملاح طريقه الصحيح .
سرهنك (إسماعيل) :- المرجع السابق ، ج٢، ص ٤٥ ، جلال (د.السيد حسين) :- المرجع السابق ، ص ٦٧ .

المكتبة البريطانية ، ولا تكاد تخلو خريطة واحدة من رسم وردة الرياح في جميع الخرائط المنشورة من نسخ أطلس بيري ، كما استخدمتها من قبل خرائط البورتولان الأوربية التي سبقت أطلس بيري تاريخياً ،[٩٠] ومنها أطلس كاتالان (catalan atlas) الذي ظهر في عام ٧٧٧ هجري/ ١٣٧٥ م ، ورسم خرائطه كريسك اليهودي، وأطلس بطرس ، وأطلس بيساني ، وهذه الأطالس استعاضت عن شبكة خطوط الطول والعرض ، بشبكةٍ من الخطوط تغطى سطح الخريطة (خريطة رقم ١٦)[٩١] وهو ما تخلت عنه الخرائط بنسخة المكتبة البريطانية ، على الرغم من تأثرها المؤكد بخرائط البورتولان ، حتى أن (Soucek) يقول بشأن التأثر : " لقد أهدى بعض السفراء المسيحيين الأوربيين لإستانبول خرائط بورتولان عن البحر الأسود أفادت بيري ريس ".[٩٢]

ح- خلت الخرائط مجموعة الدراسة من استخدام مقياس الرسم ، مع أن خريطة بيري ريس عن العالم استخدمت مقياس الرسم الصغير ،[٩٣] واستعمل في بقية خرائطه مقياس الرسم المتوسط والتقريبي غير المُحدد مثل خرائط البورتولان الأوربية .

خ- خلت هذه الخرائط تماماً من رسوم الكائنات الحية ؛ طبيعيةً كانت أم خرافية ، وكذلك من رسوم السفن ، حربيةً كانت أم تجارية ، وأيضاً من رسوم النباتات والأشجار ، مع أن خريطتي بيري عن العالم ، والنسخة الأصلية من أطلسه ، وكثير من خرائط النسخ الأخرى من أطلسه ، والمدرجة في القائمة الحصرية ، قد اشتملت على الرسوم المذكورة (أنظر على سبيل المثال الخرائط أرقام ١ ، ٨ ، ١٥) وترتب على ذلك ضعف الإخراج الفني والإحساس الجمالي بهذه الخرائط ، على عكس نظائرها التي اشتملت على مثل هذه الرسوم ، سواء في نسخ أطلس بيري ، أو في خرائط البورتولان الأوربية التي صنعت خصيصاً للأغنياء والتجار أصحاب السفن .

د- نفذت الاستحكامات الحربية في خرائط نسخة المكتبة البريطانية بالأسلوب الطبوغرافي ، وأهملت رسم المدن الساحلية وأسوارها وتخطيطاتها (السلُّوم ، الإسكندرية ، رشيد ، دمياط ، العريش) واكتفت برسم بعض القلاع بأسوارها وأبراجها وبعض عناصرها وتفاصيلها المعمارية ، ولكن يغلب عليها الطابع الكروكي السريع

---

[٩٠] راجع الحاشية رقم ١٤ في هذا البحث .

[٩١] فليحة (د.أحمد نجم الدين) :- الجغرافية العملية والخرائط ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٤ ، شكل ١٤ .

[92] Soucek (S) :- Piri Reis & Turkish Mapmaking After Columbus. p.27

[٩٣] تصنف الخرائط على أساس مقياس الرسم إلى ثلاثة أنواع هى : خرائط عامة ترسم بمقياس رسم صغير يقل عن ١ : ٥٠٠ ألف ، خرائط طبوغرافية ترسم بمقياس رسم متوسط يزيد عن ١ : ٥٠٠ ألف ولايقل عن ١ :٢٥ الف ، وخرائط تفصيلية ترسم بمقياس رسمٍ كبير يزيد عن ١ : ١٠ آلاف ، زيادي (د. إبراهيم) :- المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

غير المُتقن أحياناً ، والطابع المُختصر الذي لا يخلو من بعض الأخطاء التي تُخالف الواقع في أحيانٍ أخرى ، ففي الورقة (١٥٠ وجه) ذكر النص قلعة خربة في عمدين الجق ولم ترسم بالخريطة ، وفي الخريطة (رقم ١٠) رسمت قلعة رشيد بخمسة أبراجٍ مُستديرة بدلاً من أربعة ، واكتفت نفس الخريطة برسم قلعةٍ واحدةٍ في دمياط بدلاً من ثلاث قلاع ، وفي الورقة (١٥٦ وجه) ذكر البرج المُقابل لقلعة تينة ، لكنه لم يرسم بالخريطة (رقم ١٤) ، وهذا يقودنا إلى الحديث عن العلاقة بين النصوص والخرائط ، فالمفروض أنها علاقة وطيدة للغاية ، وما رسمت هذه الخرائط إلا لتوضح تلك النص، والكتاب عن البحرية وما يتصل بها ، وخرائطه عبارة عن أطلس لمتونه العلمية ، والثابت في فن التصوير الإسلامي أن الكتب والمخطوطات العلمية تتشابه رسومها تشابهاً كبيراً في النسخ المختلفة المأخوذة عن الأصل ، سواء في الأسلوب أو في طريقة الرسم ، على الرغم من اختلاف عصورها وأمكنة نسخها ، فهى تنقل بدقةٍ وأمانة ،[٩٤] وهو ما لم يتوفر في نسخ كتاب "بحرية" التي تضمن بعضها خرائط جديدة أحياناً لا تتصل بفكرة الفصول ، كما سبق القول .

ظروف إعادة نسخ وتصوير مخطوط المكتبة البريطانية :-

بعد مرور حوالي قرنٍ من الزمان على تأليف أطلس بيري ، تغيرت الأحوال السياسية والعسكرية في غير مصلحة الدولة العثمانية ، فاختلت أحوال البحرية العثمانية وفسدت إدارتها، ومُنيت بهزائمٍ حربيةٍ كبيرة طوال القرن ١١ هجري/ ١٧ م ، منها هزيمة نقشة البحرية وبشيكة الشهيرة وكفز البحرية ، وجناق قلعة ، وقوم برونى ، بل هزمت في مياه بحر مرمرة نفسه ، ولم يكد ينصرم القرن المذكور ، حتى كوّن الأوربيون والروس والقوزاق إتحاداً مُقدّساً لمحاربة الدولة العثمانية التي أصبحت بلا نصير ولا مُعين .[٩٥]

وفي نفس الوقت كانت أوربا قد قطعت شوطاً كبيراً في مدارج النهضة العامة في كل المجالات ، ومنها مجال الجغرافيا الذي ألفت فيه كتابين يراهما الكثيرون انتهاء مرحلة الانتقال من العصور الوسطى إلى بدء العصر الحاضر ؛ أولهما كتاب "مقدمة للجغرافية العالمية" ألّفه الألماني (كلوفيروس) عام ١٠٣٦ هجري/ ١٦٢٦ م ، وفيه وصف إقليمي ممتاز لأقطار العالم المختلفة ، وثانيهما كتاب (فارينوس) بعنوان "الجغرافية العامة" وصدر عام ١٠٦١ هجري/ ١٦٥٠ م ، وكان أعظم أثراً من سابقه ؛ حتى انه ترجم إلى لُغاتٍ عديدة .[٩٦]

---

[٩٤] حسن الباشا (د. محمود):- التصوير الإسلامي في العصور الوسطى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٩٤ .

[٩٥] سرهنك (إسماعيل) :- المرجع السابق ، ج١ ، ص ٥٨٨ .

[٩٦] تاتهام (جورج) :- الجغرافيا في القرن التاسع عشر (ضمن كتاب الجغرافية في القرن العشرين) ، ترجمة د. محمد السيد غلاّب ، محمد موسى أبو الليل ، مراجعة د.إبراهيم زرقانة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ م ، ص ٤٧ .

وعلى الجانب العثماني كانت عُرى التقدم تنفك الواحدة تلو الأخرى في كل المجالات ، ففي مجال فن زخرفة وتصوير المخطوطات لم يشهد القرن ١١ هجري/ ١٧ م إنتاجاً يُذكر في تأليف وتصوير المخطوطات ، فالإنتاج قليل والأساليب الفنية ضعيفة ومُتدهورة على حد قول الباحثة التركية "نورهان أتاسوى" .[٩٧]

وإذا أفلست الدولة تغنت بماضيها ، فبدلاً من تأليف أطلسٍ بحري عُثماني جديد يُلاحق الاكتشافات الأوربية في تخصصه من جهة ، ويضيف ما طرا من تغيرات طبيعيةٍ وإنشائية على سواحل البحر المتوسط من جهةٍ أخرى ، نكص ناسخ مخطوط المكتبة البريطانية على عقبه ، فأعاد نسخ كتاب بحرية ، ولكن في نُسخةٍ ممسوخةٍ مختصرة ، وذلك في (١٩٥) ورقة بدلاً من (٤٢١) ورقة ، وزوَّدها بـ(١٣٧) خريطة بدلاً من (٤٣٨) ، ومع هذا جاءت خرائطه مُشوّهة لا ترقى لجودة الأصل في الدقة والتفاصيل

ولعل السؤال الأخير في هذه الدراسة هو عن الخرائطي الذي رسم خرائط نُسخة المكتبة البريطانية ، والمكان الذي رسمت فيه ؟ كان مركز رسم الخرائط في القرن ١٠ هجري/ ١٦ م متركزاً في تونس وطرابلس الغرب ، فضلاً عن العاصمة إستانبول ،[٩٨] أما في القرن ١١ هجري/ ١٧ م فطبقاً لرواية "أوليا جلبي" (١٠٢٠-١٠٩٥ هجري/ ١٦١١-١٦٨٤ م) ، في سياحت نامة : " كان في إستانبول ثماني ورش لصناع الخرائط (أصناف خريطيان) يعمل فيهم خمسة عشر صانعاً يتكلمون لغات متعددة خاصةً اللاتينية ، رسموا خرائط وأطالس لكل العالم " .[٩٩]

ولم يرد اسم خرائطي نسخة المكتبة البريطانية في نهايتها ، وإنما ورد اسم ناسخها "كتبه إبراهيم ناشد غفر له سنة ١٠٢٦" ، ولعل ناسخها هو راسم خرائطها ، كما كنا نرجح عادةً في المخطوطات المصوّرة التي لم تشتمل صراحةً على اسم المصوِّر ، ولعل إستانبول هى المكان الأرجح لإعادة نسخها .

الخاتمة

هكذا سلطت تلك الدراسة الأضواء على الإسهامات العثمانية في مجال الأطالس البحرية ، وعرفت بأن فترة القرن ١٠ هجري/ ١٦ م إنما هى فترة الازدهار والنهضة في فن رسم الخرائط والأطالس البحرية العثمانية ، وكان أبرز وأقدم روادها هو بيري ريس باشا الذي فصلت الدراسة اسمه ونسبه وأعماله الحربية والفنية .

وعرفت الدراسة بنسختى إستانبول من أطلس" بحرية " ، وهما الأصل ، ثم أوجزت الحديث عن ظروف تأليفهما ورسم خرائطهما ، والهدف من ذلك ، ومدى أهمية ودقة

---

[٩٧] نور (د. حسن محمد) :- التصوير الإسلامي الديني في العصر العثماني ، ص ٤٥ .

[98] Soucek (S) :- Islamic charting in the Mediterranean (The History of Cartography). p . 263 .

[99] Soucek (S) :- Piri Reis & Turkish Mapmaking After Columbus. p. 93

هذه الخرائط بين خرائط الأطالس العالمية ، بعدها ركزت الدراسة على نسخة المكتبة البريطانية بلندن ، في دراسةٍ وصفيةٍ تحليليةٍ للنصوص والخرائط الخاصة بالسواحل الشمالية المصرية بمحتوياتها الطبيعية والإنشائية .

ولقد أفاد ترجمة النصوص ونشر خرائطها في تأكيد وإضافة الجديد من المعلومات إلى علوم الجغرافيا والتاريخ والاجتماع والآثار الإسلامية ، ففي علم الجغرافيا ثمة معلومات عن المدن الساحلية المعمورة والخربة والمندثرة ، والجزر والمصبات ، والرياح ، ومسمياتها المحلية والتركية ، والتيارات البحرية ومصايد الأسماك ، وبعض المصطلحات الجغرافية كالثلم والبروز واللسان ، والعقبات والتعليمات التي يجب على البحارة إتباعها عند دخول كل ميناء ، وطريق الحجاج المغاربة ، وبعض أنواع الزراعات كالنخيل والزيتون .

وفي التاريخ والاجتماع ذكرت بعض أجناس الطوائف ، وبعض صفاتهم الحميدة ، واشتهار جزيرة الهمزة أمام رشيد بالسحرة في الزمن الغابر .

أما في مجال الآثار الإسلامية ؛ فقد رسمت على الخرائط مجموعة من الاستحكامات الحربية الساحلية ؛ كالقلاع والأسوار والأبراج ، مع بعض عناصرها المعمارية ، وذلك وفق الأسلوب الطبوغرافي ، وكلها استحكامات ترجع إلى العصرين المملوكي والعثماني ، وساعدت الدراسة على معرفة المواقع الصحيحة لهذه الاستحكامات ، وإن لم تخل من أخطاء اختزال العدد تارة ، ومخالفة الواقع المعماري تارةً أخرى ، بل ومخالفة النص تارةً ثالثة ، وأكد تحليل النصوص أن " بيري ريس " قد اطلع على بعض مؤلفات السابقين من الجغرافيين العرب والمسلمين والبرتغاليين ، خاصةً عند حديثه عن مدينة الإسكندرية و منارها ومنابع النيل وغير ذلك .

أكدت المقارنات أن خرائط " بيري ريس " قد تأثرت كثيراً بخرائط وأطالس البورتولان الأوربية التي تسبقها بأكثر من قرنين من الزمان ، ثم عادت خرائط بيري ريس لتترك أثرها من بعدها على كثيرٍ من الأطالس العالمية ، سواء العثمانية أو الأوربية ، بحيث امتد هذا التأثير حتى مطلع القرن ١٣ هجري/ ١٩ م .

استخلصت الدراسة مميزات خرائط نسخة المكتبة البريطانية ، وكانت كثيرة إذ نيفت على التسع .

رجحت الدراسة بناءً على القياس أن يكون ناسخ مخطوط المكتبة البريطانية بلندن "إبراهيم ناشد" هو نفسه راسم خرائطها غير الموّقعة .

زودت الدراسة بست عشرة خريطة ، ست منها لم يسبق نشرها ، وبثماني لوحات بمثابة نصوص من نسخة المكتبة البريطانية لم يسبق نشرها أيضاً ، فضلاً عن ستة أشكال توضيحية أخرى .

ستكون هذه الدراسة سبباً مباشراً للمزيد من الدراسات الأخرى ، سواء لخرائط السواحل العربية في نسخة المكتبة البريطانية من كتاب "بحرية" أو لدراسة ونشر مخطوطاتٍ

جغرافية أخرى تم تصويرها بالفعل من المكتبة البريطانية بلندن مثل مخطوط "جهان نما" ، أو حتى لدراسة الآثار المادية المُتعلقة بفنون الملاحة والبحار ، خاصةً وأن المتاحف البحرية في بعض البلاد العربية وفي تركيا تحتفظ بنماذج من هذه الآثار تعود إلى القرون الأربعة المنصرمة .

المصادر والمراجع

أحمد (د. عنتر إسماعيل) ، حسام العبادي :- دليل موجز لآثار مدينة الإسكندرية ،مؤسسة الجامعة ، الإسكندرية ، دت .

أحمد(د.عنتر إسماعيل) :- التخطيط العمراني لمدينة الإسكندرية في القرن التاسع عشر ، رسالة دكتوراه بكلية الآداب بسوهاج ، جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٣ م .

أصلان آبا (أوقطاي) :- فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد عيسى ، إستانبول ، ١٩٨٧ .

تاتهام (جورج) :- الجغرافيا في القرن التاسع عشر (ضمن كتاب الجغرافية في القرن العشرين) ، ترجمة د. محمد السيد غلاّب ، محمد موسى أبو الليل ، مراجعة د.إبراهيم زرقانة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ م .

جلال (د.السيد حسين) :- فضل المسلمين في كشف الطريق البحري إلى الهند ، (١٤١٥- ١٤٩٨ م) ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢ م .

الجوهري (د.يسري) :- الخرائط الجغرافية ، مكتبة الإشعاع ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ .

حسن الباشا(د.محمود) :-التصوير الإسلامي في العصور الوسطى ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٧٨ .

- سواحل مصر الشمالية في الفن الإسلامي (ضمن كتاب سواحل مصر الشمالية عبر العصور) تاريخ المصريين ، العدد ٢٠٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ م

حسن (د.محمد إبراهيم) :- جغرافية الوطن العربي ، حوض البحر المتوسط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ م .

حسن (نيفين مصطفى) :- رشيد في العصر العثماني ، دراسة تاريخية وثائقية ، مراجعة وتقديم د. محمد السروجي ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ م .

حليم (يوسف) :- تأثير العوامل الطبيعية والبشرية على واجهة مصر البحرية (ضمن كتاب تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور) تاريخ المصريين ، العدد ٢٠٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٢٠٠١ م .

الحموي(شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت):- معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٥٥ م.

ابن حوقل (أبو القاسم ابن حوقل النصيبي) :- كتاب صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، ليدن،١٩٢٨ م.

خليفة (د.ربيع حامد) :- الفنون الإسلامية في العصر العثماني ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠١ م .

دائرة المعارف الإسلامية ، نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي ، أحمد الشنتناوي ، إبراهيم زكي خورشيد ،أكتوبر ١٩٣٣ م ، المجلد الرابع .
درويش (د. محمود أحمد) :- الاستحكامات الحربية بمدينة رشيد في العصر المملوكي حتى عصر محمد على ، رسالة دكتوراه بكلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٩١ م .
رضوان (د.نبيل عبد الحي) :- جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع القرن الحديث ، مكة المكرمة ، ١٩٩٨ م .
رمزي (محمد) :- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م .
الزاوي (الطاهر أحمد) :- معجم البلدان الليبية ، طرابلس ، ١٩٦٨ م.
زكي (د.عبد الرحمن) :- قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة ،مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- الجيش المصري في العصر الإسلامي من عين جالوت إلى رشيد (١٢٦٠ - ١٨٠٧) ، موسوعة الجيوش الإسلامية ، مطبعة الكيلاني ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
زيادي (د. إبراهيم):- مبادئ الخرائط والمساحة ،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،١٩٩٧م.
سرهنك (إسماعيل) :- حقائق الأخبار عن دول البحار ، بولاق مصر، القاهرة ، ١٣١٦هـ.
سليمان (د.عبد الحميد حامد) :- تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني ، سلسلة تاريخ المصريين ، ٨٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٥ م
الشيال (د.جمال الدين) :- أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ م .
الشيخ (د.حسين) :- المصادر التاريخية والأثرية لمدينة الإسكندرية المغمورة (ضمن كتاب تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور) سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٢٠٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ م .
عوض (د.حسن البنا) :- التراث السكندري المغمور في الإدارة المتكاملة للمناطق الساحلية (ضمن كتاب تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور) .
أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل) :- تقويم البلدان ، باريس ، ١٨٥٠ م .
فليحة (د.أحمد نجم الدين) :- الجغرافية العملية والخرائط ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠ م .
الفنجري (د.أحمد) : العلوم الإسلامية ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، ١٩٨٥ م .
لودقيغ (إميل) :- البحر المتوسط "مصاير بحر" ، ترجمة د. عادل زعيتر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٢ .

عبد المالك (سامي صالح) :- قلعة الفرما وضواحيها "بوابة مصر الشرقية" دراسات في آثار الوطن العربي ، الملتقى الثالث لجمعية الآثاريين العرب ، الندوة العلمية الثانية ، الجزء الثاني ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
محمد (د. سعاد ماهر):- البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، المجمع العلمي بجدة ، ١٩٧٩ م .
المسعودي (أبو الحسن على بن الحسين) :- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد– الطبعة الثالثة– مطبعة دار السعادة بمصر ، ١٩٥٨م .
مصطفى (شاكر) :- موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ .
نور(د.حسن محمد) :- "حديث نو ويا تاريخ هند غربي" ، مخطوط تركي مصور لم يسبق نشره ، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، جامعة جنوب الوادي ، العدد ١٦، يونيو١٩٩٤ .
- التصوير الإسلامي الديني في العصر العثماني ، سلسلة الدراسات الأثرية ، ٣، كلية الآداب بسوهاج ، جامعة جنوب الوادي ، ١٩٩٩ .
الهمشري (محمد على) وآخرون :- ازدهار العلوم والفنون الإسلامية ، الرياض، ١٩٩٧ م .

ثانياً : المراجع الأجنبية :-

A Fetinan (A) :- Life and works of the Turkish Admiral Piri Reis (The oldest Map of America , drawn by Piri Reis) Trans by . L . yolc . Ankara . 1954 .
And (Metin) :- Turkish Miniatures Paiting the Ottoman Period , Ankara , 1974 .
Atil (Esin) :- The Age of Sultan Suleyman Magnificent , Washington , 1988 .
Galloul (N):- Les Fortification Cotieres Ottomanes de la Regence de Tunis xvie – xix, Siecles , Fondation Temimi , Zaghouan 1995 , Tome II .
Karamustafa (A.T) :- "Military , Administrative and Scholary Maps and Plans " The History of cartography , Book one , 2001 .
őzdemir (k) :- Ottoman Nautical charts and the Atlas of Ali Macar Reis , Istanbul , 1992 .

Rogers (J.M) & R .M .ward :- Suleyman the Magnificent , British Museum .1988 .

Soucek (S) :-- Piri Reis & Turkish Mapmaking After Columbus , the Khalili Portlan Atlas , London .1996.

- Islamic charting in the Mediterranean (The History of Cartography) Vol .2 .Book one .Chicago& London .2001 .

Titley (N.M) :- Miniatures from Turkish Manuscripts , A catalogue and subject index of paintings in the British Library and British Museum ,1981 .

لوحة رقم (١) الورقة الأخيرة من المخطوط ،وعليها اسم يوسف ،
وتاريخ تملك بعام ١٠٩٨ هجري ، لم يسبق نشرها .

لوحة رقم (٢) الصفحة الافتتاحية من نسخة المكتبة البريطانية بلندن ، من أطلس بحريةلبيري ريس ، وعليها اسم المؤلف والسلطان سليمان القانوني ، لم يسبق نشرها

لوحة رقم (٣) الورقة (١٤٩ وجه) من المخطوط السابق ، لم يسبق نشرها .

لوحة رقم (٤) الورقة (١٥٠ وجه) من المخطوط السابق ، لم يسبق نشرها .

لوحة رقم (٥) الورقة (١٥١ وجه) من المخطوط السابق ، لم يسبق نشرها .

١. لوحة رقم (٦) الورقة (١٥٢ وجه) من المخطوط السابق ، لم يسبق نشرها

لوحة رقم (٧) الورقة (١٥٤ وجه) من المخطوط السابق ، لم يسبق نشرها .

لوحة رقم (٨) الورقة (١٥٦ وجه) من المخطوط السابق ، لم يسبق نشرها .

خريطة رقم (١) ، تفاصيل من خريطة العالم لبيري ريس توضح جزء من الشواطئ الشمالية لأمريكا الجنوبية، őzdemir (k) :- op . cit . p .60

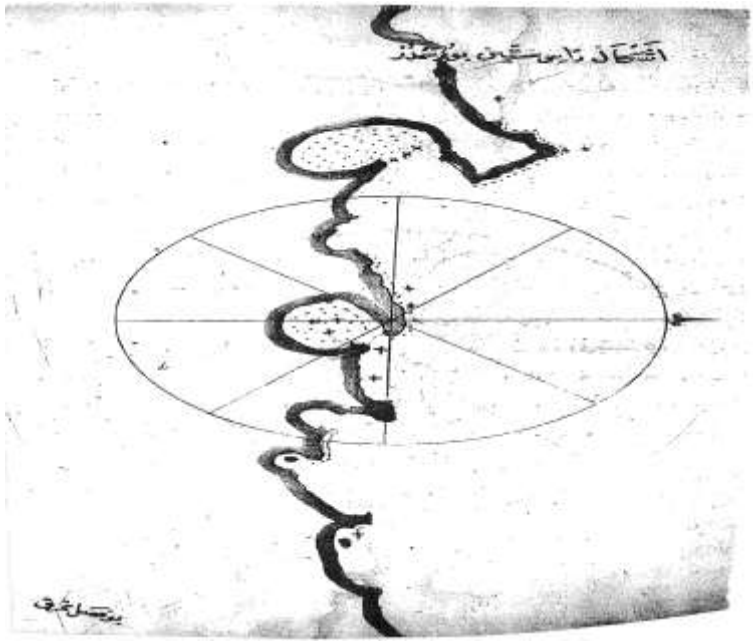

خريطة رقم (٢) طبرق والسلوم على الورقة (١٤٩ ظهر) من نسخة المكتبة البريطانية بلندن ، ١٠٢٦ هجري/ ١٦١٧ م ، لم يسبق نشرها

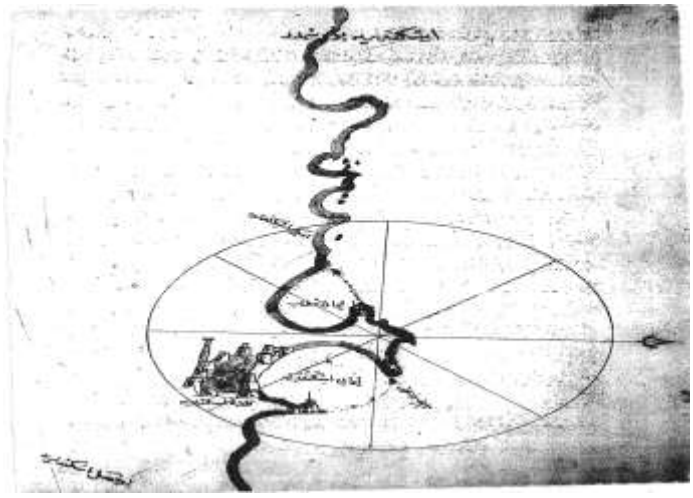

خريطة رقم (٣) الإسكندرية ، بالورقة (١٥٠ ظهر) من المخطوط السابق،لم يسبق نشرها .

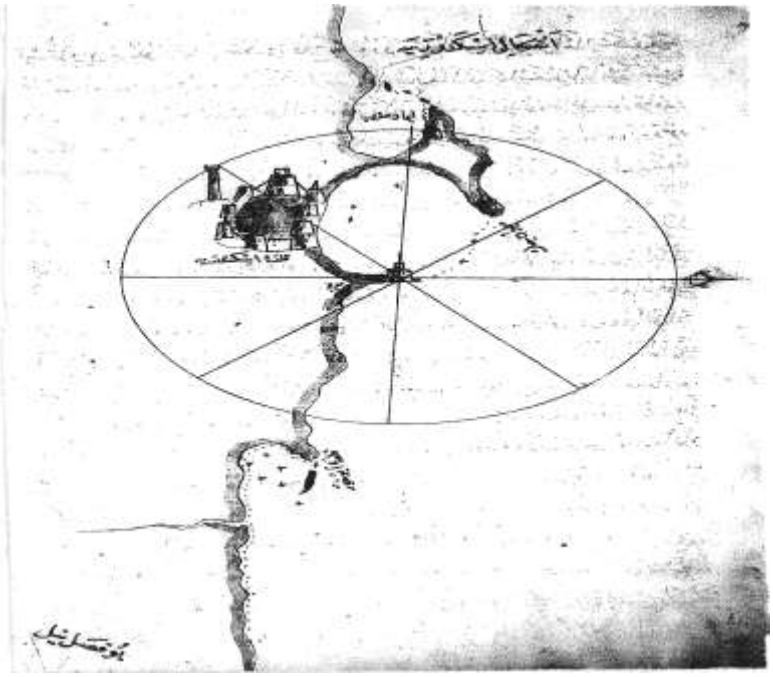

خريطة رقم (٤) الإسكندرية ، بالورقة (١٥٢ ظهر) من المخطوط السابق،لم يسبق نشرها .

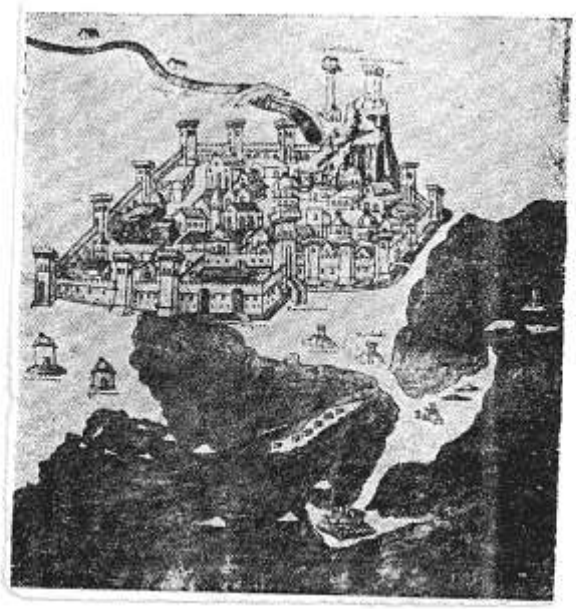

خريطة رقم (٥) الإسكندرية ،عام ٨٧٦ هجري / ١٤٧٢ م ، عن : زكي (د.عبد الرحمن) :- الجيش المصري في العصر الإسلامي ، ص ١٣٨ .

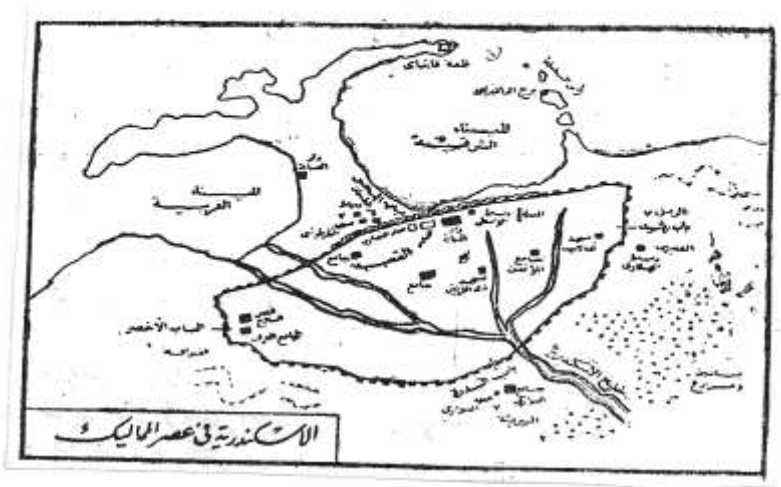

خريطة رقم (٦) الإسكندرية في عهد السلطان الأشرف شعبان ، زكي (د.عبد الرحمن) :- الجيش المصري في العصر الإسلامي ، ص ١٣٨

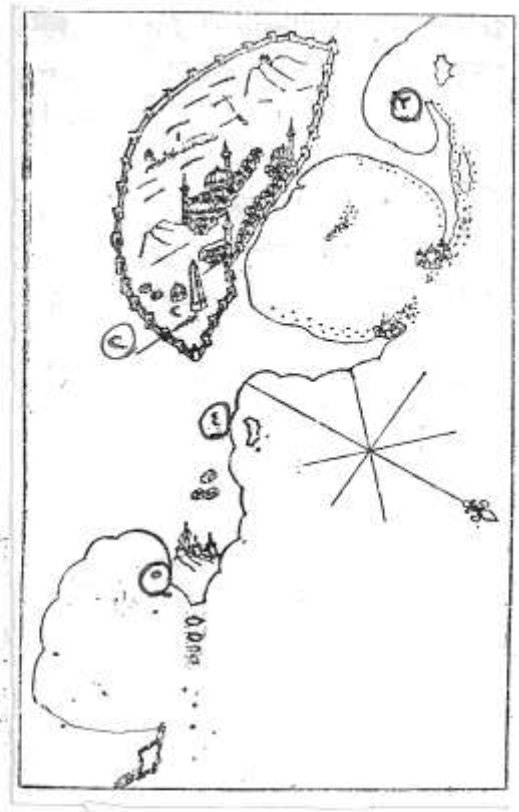

خريطة رقم (٧) الإسكندرية ،عن نفس المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

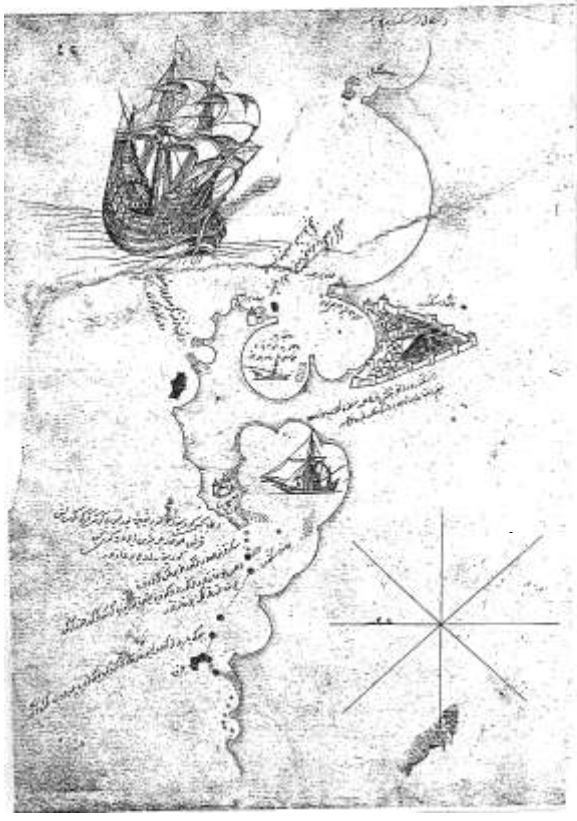

خريطة رقم (٨) الإسكندرية ، بالورقة (٤٥ وجه) من نسخة مجموعة ناصر خليلي بلندن من أطلس بيري ريس ، منتصف القرن ١١هجري/ ١٧ م ، عن :
Soucek (S) :- Piri Reis & Turkish Mapmaking After Columbus , pl .26. p. 108

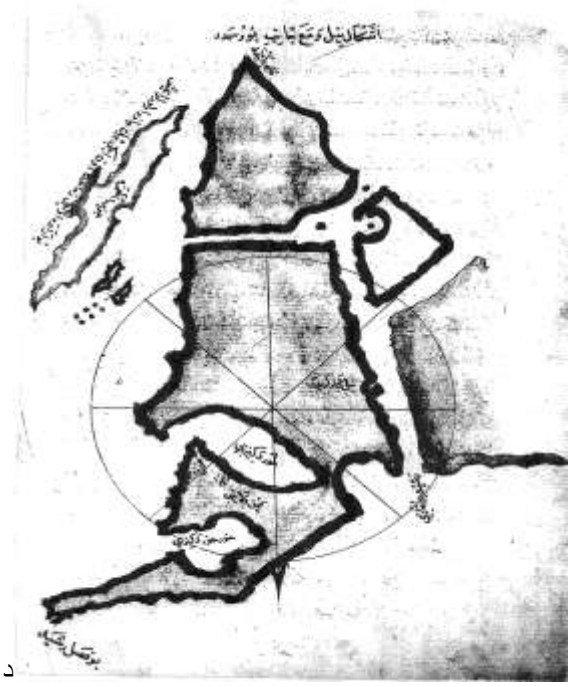

خريطة رقم (٩) رشيد ، بالورقة (١٥٥ ظهر) من نسخة المكتبة البريطانية بلندن من أطلس بيري ريس ، لم يسبق نشرها .

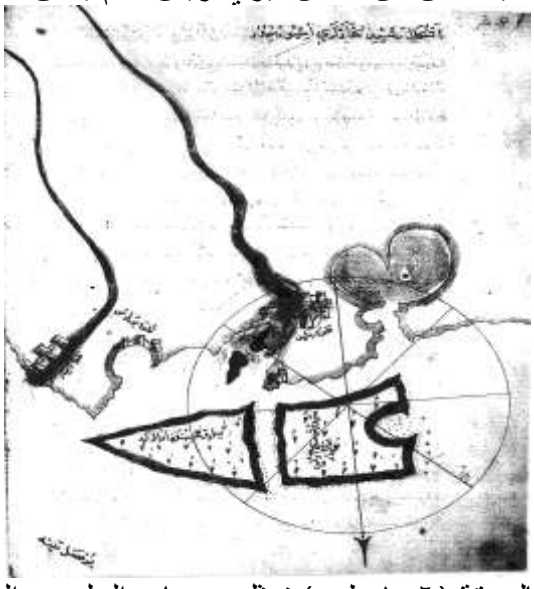

خريطة رقم (١٠) بالورقة (١٥٦ ظهر) تمثل مصبات النيل من المخطوط السابق ، لم يسبق نشرها .

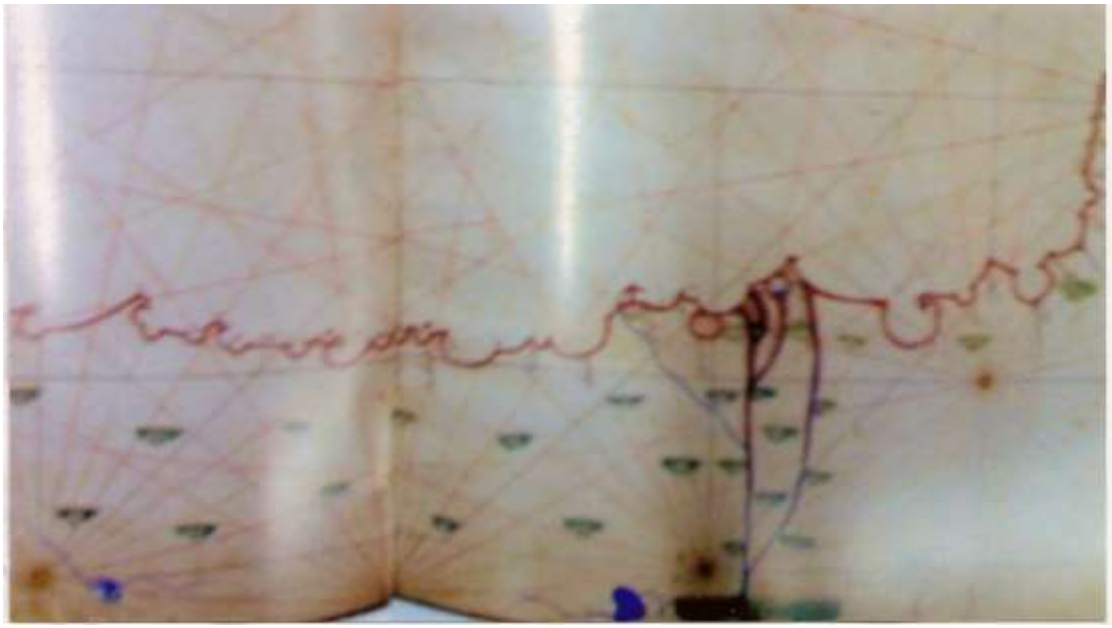

خريطة رقم (١١) القسم الشرقي من البحر المتوسط في الأطلس الهمايوني ، محفوظ بمتحف الآثار بإستانبول ، برقم (١٦٢١) حوالي ٩٧٨ هجري / ١٥٧٠ م .

őzdemir (k) :- Ottoman Nautical charts and the Atlas of Ali Macar Reis . pp . 102 – 103 .

خريطة رقم (١٢) جزء من خريطة يمثل القسم الشرقي من حوض المتوسط من أطلس بيري ريس – نسخة مكتبة جامعة إستانبول برقم (٦٦٠٥) ،
őzdemir (k) :- op . cit . p .64 – 65 .

خريطة رقم (١٣) النيل والدلتا – محفوظة بالفاتيكان برقم (٧٣ تركي)، حوالي عام ١٠٩٥هجري/ ١٦٨٤م، عن :-
Karamustafa (A.T) :-"Military , Administrative and Scholary Maps and Plans , fig 11 . 17 .p .224.

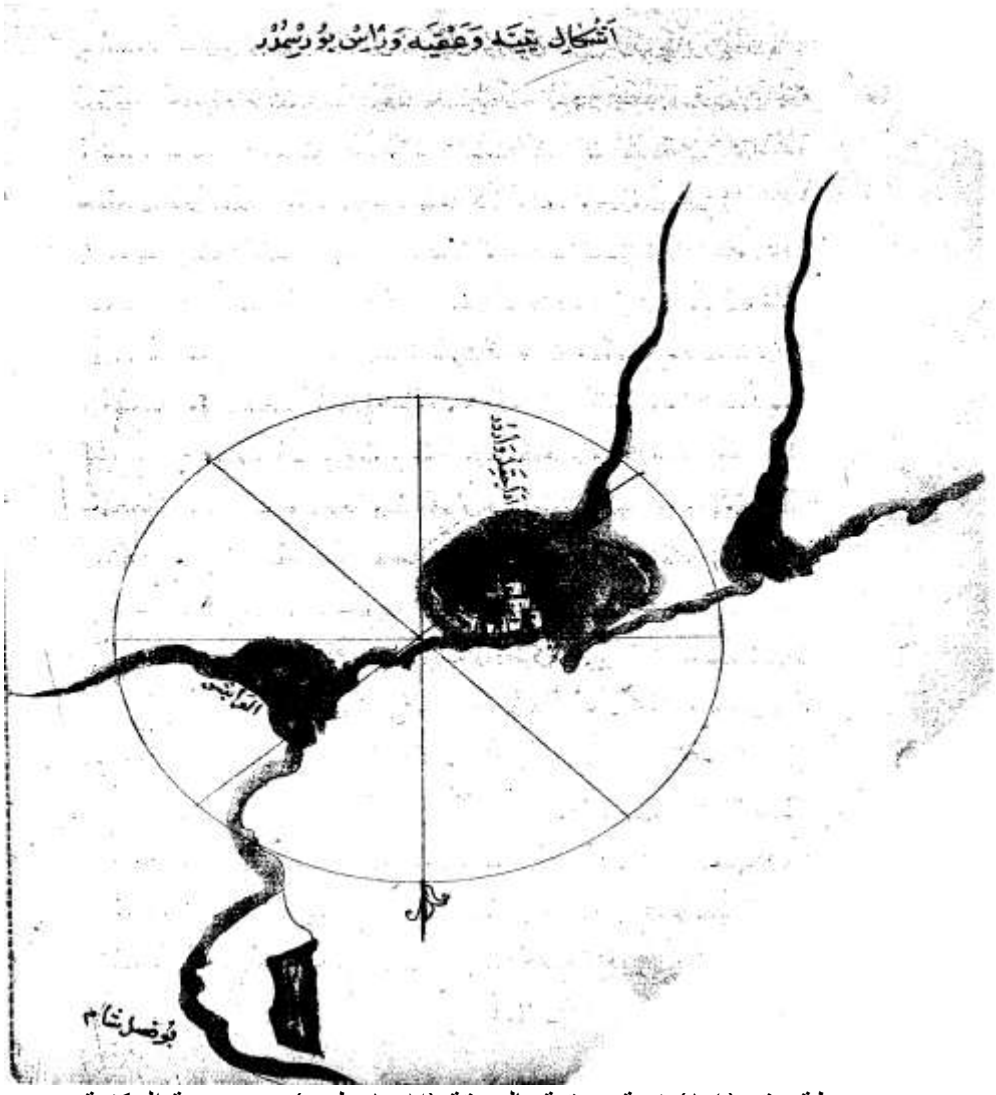

خريطة رقم (١٤) تينة وعقبة بالورقة (١٥٧ ظهر) من نسخة المكتبة البريطانية بلندن من أطلس بيري ريس ، لم يسبق نشرها .

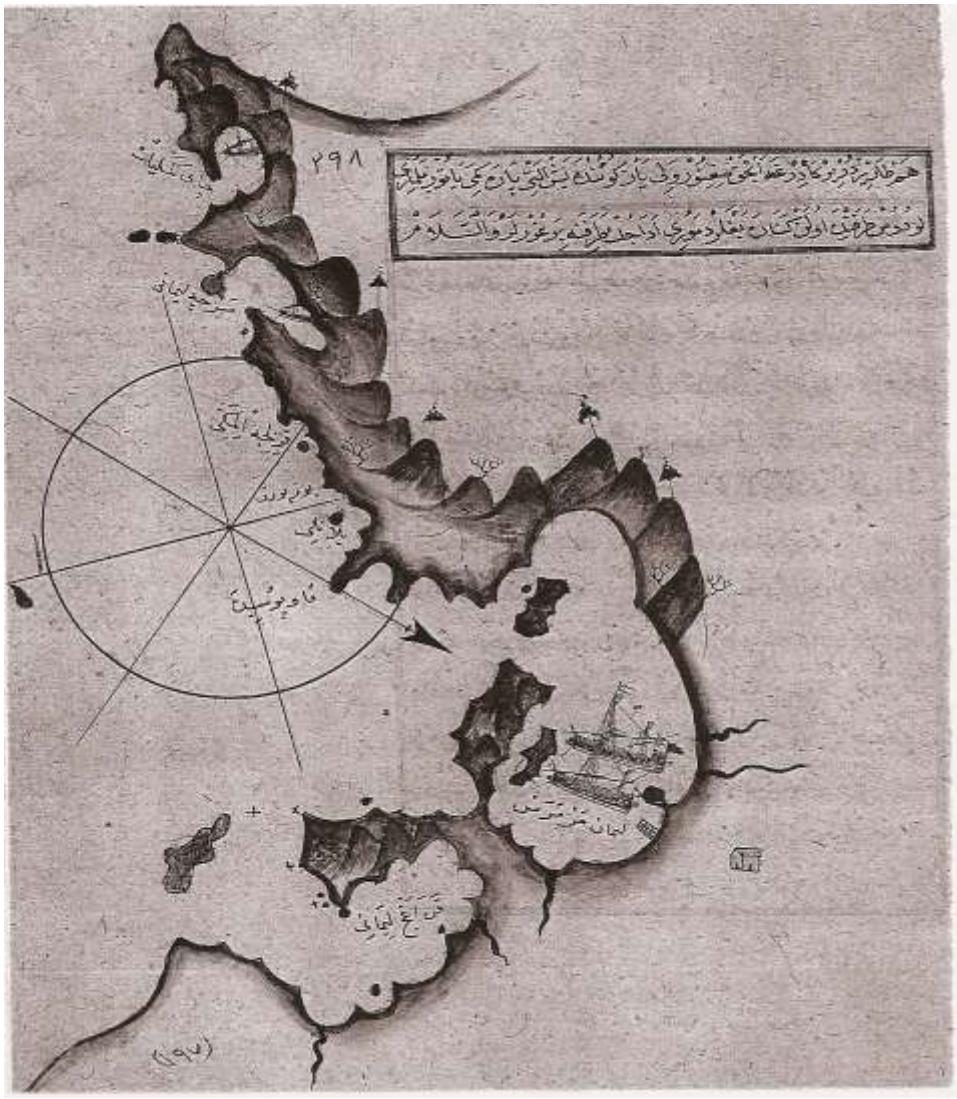

خريطة رقم (١٥) بورتولان تمثل ميناء مرمرة من نسخة مكتبة أياصوفيا من اطلس بيري ريس ، برقم حفظ _٣١٦١) ، عن :- őzdemir (k) :- op . cit . p .63

خريطة رقم (١٦) جزء من
مصور بورتولاند البحري ،
القرن ١٠ هجري/١٦م،
عن: فليحة(د.أحمد نجم الدين) :-
الجغرافية العملية والخرائط ،
شكل ١٤ ، ص ٢٤ .

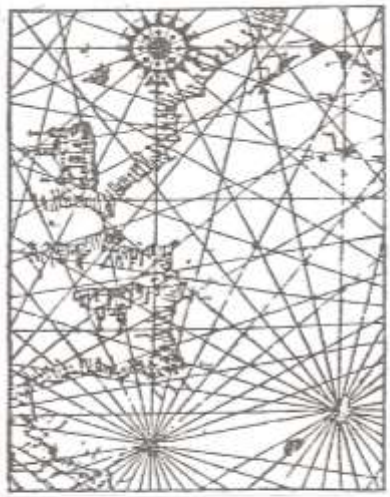

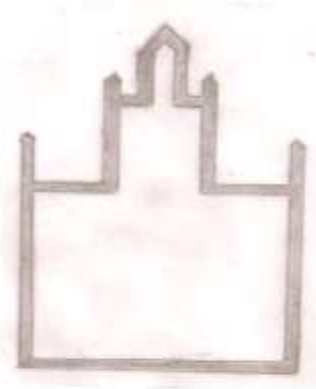

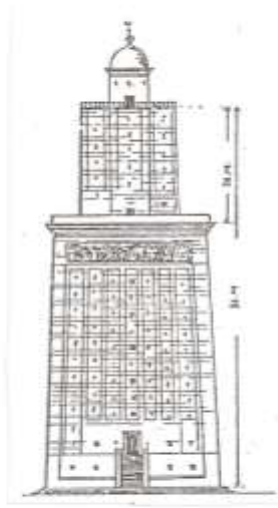

شكل رقم (١) : رسم تخطيطي لمنارة الإسكندرية في العصر الطولوني ، أحمد
(د. عنتر إسماعيل) ، حسام العبادي : دليل موجز لآثار مدينة الإسكندرية ، شكل (١-٢).

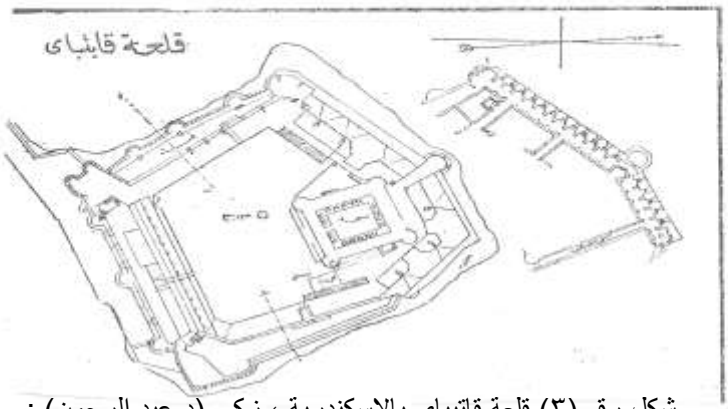

شكل رقم (٣) قلعة قاتيباي بالإسكندرية ، زكي (د.عبد الرحمن) : قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة ، شكل ٦ ، ص ١٥٧ .

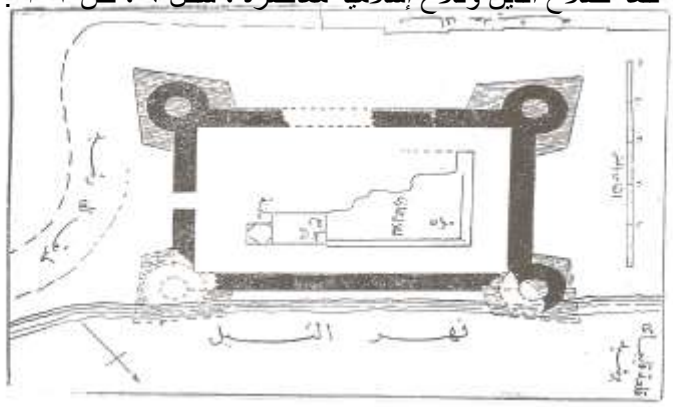

شكل رقم (٤) قلعة قاتيباي برشيد ، المرجع السابق ،شكل ٧ ، ص ١٦٢.

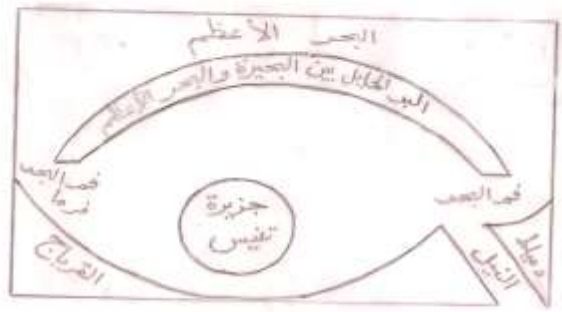

شكل رقم (٥) دمياط وتنيس والفرما ، الحموي (ياقوت) :المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٥٣.

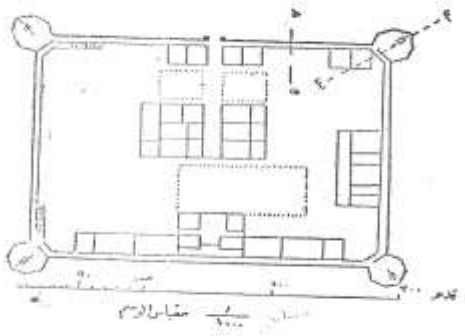

شكل رقم (٦) قلعة العريش ، زكي (د.عبد الرحمن):المرجع السابق ، شكل ٥ ،ص ١٤١ .